تمام المنة
في شرح أصول السنة

للإمام أحمد رواية عبدوس العطار

الشيخ الدكتور
سمير بن أحمد الصباغ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تمام المنة

في شرح أصول السنة

لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني

رحمه الله (ت: ٢٤١هـ)

رواية عُبْدُوس بن مالك العطار رحمه الله

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه الشيخ الدكتور

أبو عبد الرحمن

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ

حقوق الطبع مبذولة لعموم المسلمين

١٤٤٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسِنا، وسيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ: فهذا شرحٌ موجزٌ مختصَرٌ لمتن كتابِ «**أُصُول السُّنَّة**» لإمام أهلِ السُّنةِ في زمانِه **أبي عبد الله الإمامِ أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيّ** رحمه الله تعالى، من رواية **أبي محمد عُبْدُوس بن مالك العطار**، وكان الإمام أحمدُ يقدِّمُه، وكان له به أنسٌ شديدٌ.

وقد ردَّ الإمام أحمدُ بهذا الكتاب على أهلِ البِدَعِ المُنكِرينَ للأُصُول التي أورَدَها في كتابه، وهي من أصولِ أهل السُّنةِ والجماعةِ التي هي عقيدةُ دِينِ النبيِّ محمدٍ ﷺ وأصحابِه الكِرامِ رضوانُ اللهِ تعالى عليهم أجمعين! فإن الرجُلَ يَنصُرُ السُّنةَ، ويصدَعُ بالتوحيد، ويرُدُّ على أهل البِدَع، ويبيِّنُ عَوَارهم، مجاهدًا في سبيل الله تعالى بالعلمِ والبيانِ والحُجَّة والبرهان.

ولمَّا ظهر أهلُ البدع، وأظهروا بِدَعَهم، وصدَعوا بها، وكتبوا فيها، انبرى لهم أهلُ السُّنة لبيان العقيدة الصحيحة، ودَحْضِ البِدَع والشُّبُهات التي أوردها هؤلاء المُبتَدِعةُ، والتي يحاولون أن يَهدِموا بها المعتقَدَ الصحيحَ.

فكَتَب أهلُ السُّنةِ كُتُبَ العقيدةِ وكتبَ السُّنة، كـ«العقيدة الطحاوية»، و«عقيدة السلف أصحاب الحديث»، و«العقيدة الواسطية»، و«الحموية»، و«التدمرية»، وكتاب «أصول السُّنة» للإمام أحمد، وكتاب «السنة» لعبد الله بن أحمد، و«شرح السُّنة» للبَرْبَهاري ونحو ذلك.

والمرادُ بالسُّنة هنا: العقيدةُ والمنهجُ الذي كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابُه الكرامُ في المسائل المذكورة.

أسألُ اللهَ تعالى أن يجعَلَنا من جُندِه المُخلِصِينَ المُجاهِدِينَ الذَّابِّينَ عن دينِ ربِّ العالمين، المتَّبِعِينَ لهَدْيِ سيِّدِ المُرْسَلِينَ، الداعين إلى الهدى والصراط المستقيم.

وصلِّ اللَّهُمَّ وسلِّمَ وبارِكْ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبِه أجمعين!

التعريف بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله[١]

١- هو الإمام أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل الذُّهْليُّ، الشَّيْبانيُّ، شيخُ الإسلام، وأحد الأئمَّة المتبوعين، وُلِد سنة (١٦٤هـ)، مات أبوه في صِغَره، وتربَّى يتيمًا، فقامَتْ عليه أمُّه خيرَ قيام، قال الإمام أحمد: حفَّظتني أمِّي القرآنَ وأنا ابنُ عشرِ سنينَ، وكانت توقِظُني قبلَ صلاة الفجر، وتحمي لي ماءَ الوُضُوءِ في ليالي بغدادَ الباردة، وتُلْبِسُني ملابسَ، ثم تتخمَّرُ وتتغطَّى بحجابِها، وتذهَبُ معي إلى المسجِدِ؛ لبُعد بيتِنا، ولِظُلمة الطريق.

٢- طلبَ العلمَ وهو ابنُ خمسةَ عشرَ عامًا على الإمام أبي يوسف صاحبِ أبي حنيفة، والإمامِ عبد الله بن المبارك، وهُشَيمِ بن بَشِير، ثم رحل من بغدادَ إلى الكوفة، ثم إلى البصرة، ثم إلى الحجاز، ثم إلى واسط، ثم إلى مكة، ثم إلى اليمن ماشيًا مع يحيى بن مَعين.

٣- وشرع في تصنيف «المسنَد» مُرَتَّبًا حسَبَ أحاديثِ كلِّ صحابيٍّ وهو في السادسة والثلاثين من عُمُرِه، وحدَّث فيه عن مِئتَينِ

---

[١] انظر ترجمةً مطولةً للإمام أحمد رحمه الله في: الطبقات الكبرى (٧/ ٣٥٤)، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٢/ ٦٨)، وسيرة الإمام أحمد، لابنه صالح.

وثلاثةٍ وثمانينَ شيخًا.

٤- وهو في سنِّ الأربعين ماتَ الشافعيُّ، وصار أحمدُ هو المحدِّثَ المفتيَ، وتصَدَّر أحمدُ للفتوى والتحديث حتى سنة (٢١٨هـ) عندما أعلن المأمون رأيَه بخَلْقِ القرآنِ وامتحانِ العلماء، وثبت أحمد رحِمه الله على قوله: بأن القرآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، فأمر المأمونُ بإحضارِه إليه، وكان يومئذٍ في الجهاد في غزو الروم، فحُمِل إليه مُقيَّدًا، ومات المأمونُ قبل أن يصلَ إليه الإمام أحمد، فرُدَّ إلى بغدادَ، وسُجِن فيها، وتولَّى المُعتَصِمُ، وسُجِن وضُرِب بالسِّياط في عهد المُعتصِم، بشؤم أهل البِدَعِ من المعتزلة، وعلى رأسهم أحمدُ بنُ أبي دُؤَادٍ، ثم جاء الواثق، ثم المُتَوكِّلُ الذي أزال اللهُ المِحْنةَ في زمنِه.

٥-وقد أثنى عليه أهلُ العلمِ ثناءً عَطِرًا، من ذلك قولُ بعضِ أهل العلم: إنَّ اللهَ نصرَ الإسلامَ بأبي بكرٍ يومَ الرِّدَّةِ، وبأحمدَ يومَ المِحْنةِ.

٦- وتُوُفي رحمه الله سنة ٢٤١هـ. وترك أثرًا عظيمًا وعلمًا غزيرًا.

٧- وهذا الكتاب من رواية عُبْدُوسِ بنِ مالكٍ العَطَّارِ عنه، وكان الإمام أحمد يُجِلُّه ويُقدِّمُه، وكانت له عندَه منزلةٌ[(١)].

[(١)] ترجمته في: طبقات الحنابلة (١/ ٢٤١)، والمقصد الأرشد (٢/ ٢٨١)، وتسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة (١/ ٢٩١).

قال الإمام أحمد رحمه الله[١]:

«أُصُولُ أهلِ السُّنَّةِ عِندَنَا»:

الشرح:

١- معنى كلمة أصول: جمع أصل، وهو الأساسُ الذي بُنِيَ عليه غيرُه مما يتفرَّع منه، ويُطلَق غالبًا على الدليل.

٢- معنى السُّنة: الطريقة والسِّيرة، حسنةً كانت أو سيئةً، كما قال تعالى: {سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾} [الإسراء:٧٧]، وكما في قولِ النبي ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[٢].

وللسُّنَّة معانٍ متعددةٌ:

- فهي عند المُحَدِّثِينَ: ما نُسِب إلى الرسول من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ، أو صفةٍ خُلُقية أو خَلْقية.

- وعند الفقهاء: ما يقابل الفرضَ والواجبَ؛ أي: ما هو مندوبٌ إليه، وليس بواجبٍ.

- وعند السلف الصالح عمومًا، هي موافقةُ الشريعة بفَهم

---

[١] اعتمدنا في متن الكتاب طبعة دار المنار، السعودية، ط: ١، ١٤١١هـ.

[٢] أخرجه البخاري (٧٣٢٠).

الصَّحابة الكِرام في العَقيدةِ والعِبادةِ والسُّلوك.

ومقصودُ العلماء بالسُّنة هنا: ما يعتقِدُهُ أهلُ السُّنةِ والجماعةِ في الاعتقادات والمسائل التي خالف فيها أهلُ البدعِ ما ثبَتَ مِن فهمِ أصحابِ النبيِّ ﷺ، ودلَّت عليه نصوصُ الكتاب والسُّنة.

- وتُطلَق السُّنَّةُ في مقابلة البِدعة.

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«التَّمَسُّكُ بما كانَ عليه أصحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ والاقتداءُ بِهِم»:

الشرح:

أ- التمسك: هو لزومُ الشيء، والتشبُّث به، وأخذُه بقوةٍ، وعدم تركِه والتهاونِ به.

ب- الاقتداء: هو الامتثالُ، بأن نحذُوَ حَذْوَ الصحابةِ في العلمِ والفهمِ والعمل، نفهَمُ كما فهِموا، ونعمَلُ كما عمِلوا.

ج - الصَّحابة: هم الذين لَقُوا رسولَ الله ﷺ، وآمنوا به، واتبعوه على دينه، وماتوا على الإسلام.

وقد أمر الله تعالى المسلمين أن يتَّبِعوا سبيلَ الصحابة في العلم والفهم والعمل؛ لأنهم كانوا أعلمَ الناس بلغة القرآن والسُّنة، ونزل فيهم القرآن والسُّنة، وتلقَّوُا الوحيَ غَضًّا طريًّا من رسولِ الله ﷺ بلا واسطةٍ ولا مُباعَدَةٍ عنه، وتربَّوا على يدَيه، وفهِموا بفَهْمِه، وعمِلوا

بعمَلِه، واقتدَوا واهتدَوا بِهَديه ﷺ.

فهم أعلمُ الناس بِدِين اللهِ وبِمُرادِ اللهِ ورسولِه عليه السلام، ولذلك قال اللهُ تعالى: {وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥} [النساء:١١٥].

فَمَن اتَّبع غيرَ سبيلِ الصَّحابةِ في العلم والفهمِ والعملِ فهو مُنحَرِفٌ عن الصِّراطِ المستقيم، مُتوعَّدٌ بالنارِ، قال الله تعالى: {وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ١٠٠} [التوبة:١٠٠].

فمَنِ اتَّبعَ الصَّحابةَ بإحسانٍ علمًا وفهمًا وعملًا موعودٌ بِرِضَا الله تعالى؛ فطريقُ رضا الله هو طريقُ الصَّحابة الكرام.

ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**»[1]، وقال ﷺ أيضًا: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ**

---

[1] أخرجه أحمد (٢٣٢٤٥)، والترمذي (٣٦٦٢).

بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[١].

فالمَخرَجُ من الفِتن والخلافاتِ هو التمسُّكُ بالسُّنة على فهم الصَّحابة الكِرام، وعلى رأسهم الخلفاءُ الراشِدون المَهْديُّون: أبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ رضي الله عنهم.

فالواجبُ على المسلِمِ أن يتَّبعَ الصحابةَ الكِرام، وأن يتمسَّكَ بما كانوا عليه علمًا وعملًا واعتِقادًا- أي: في العقائدِ والعباداتِ والمعاملاتِ والأخلاقِ- حتى يَسلَمَ له دينُهُ، وينجُوَ مِن البِدَعِ والمخالفاتِ كلِّها.

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«وتركُ البِدَعِ، وكلُّ بِدْعةٍ فهي ضَلالةٌ»:

الشرح:

البِدعةُ: هي كلُّ عملٍ عُمِل على غيرِ مثالٍ سابق.

والبِدعةُ في مفهوم الشريعة: هي كلُّ عملٍ مُحْدَثٍ في الدِّين لم يوجَدْ في الكتاب والسُّنة، سواءٌ كان في العقيدةِ، أو العبادةِ، أو المعاملات أو الأخلاق، ولذا قال الشاطِبيُّ رَحِمه الله: البدعةُ هي طريقةٌ في الدِّين مخترَعةٌ تُضاهي الشرعيةَ، يُقصَد بالسلوك عليها ما

---

[١] أخرجه أحمد (١٧١٤٤).

يقصد بالطريقة الشرعية[١].

أي: يُرادُ بها التعبُّدُ للهِ تعالى.

وكلُّ بدعةٍ في الدينِ فهي ضَلالةٌ؛ لقول النبي ﷺ: «**وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، ولقوله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا**- أي: في دينِنا- **هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[٢]؛ أي: فهو باطلٌ مَردودٌ عليه.

والبِدعة بِدعتان: كبرى، وصغرى[٣].

فالكبرى: كبدعةِ الروافِضِ الذين طعَنوا في القرآنِ بالتحريف والنقصان، وطعنوا في السُّنة بالإنكار والتكذيب، وفي الصحابة بالتكفير، فهم بذلك هَدَموا أصولَ الدِّين ورفضوه، وصَدَقَ عليهم اسمُ الرافضة، علاوةً على بقيَّة عقائدهم الفاسدة، كالرَّجْعة، والتَّقِيَّة، ونكاحِ المُتْعة... إلخ.

ومثالُ البدعة الصغرى: القراءةُ عند القبور، وتلقينُ الميِّت بعدَ دفنِه، ونحو ذلك.

وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، كبيرةً كانت أو صغيرةً.

---

[١] الاعتصام (ص٤٧).

[٢] أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

[٣] انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ١٠٦-١٠٧)، والعواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٨/ ١١٥).

وتُقسَّم البدعةُ أيضًا إلى: بدعةٍ مكفِّرةٍ، وبدعةٍ مُفسِّقة، كما قال الحافظ ابنُ حَجَرٍ، فالمُكفِّرةُ كبدع الرافضةِ في هدم الإسلام، كما سبق ذكره، والمُفسِّقة كبدع الخوارج.

ومنها أيضًا: بدعة بسيطة، ومُركَّبة:

فالبسيطة: هي التي تحتوي على مخالفةٍ فحَسْبُ.

والمركبةُ: هي التي اشتملت على بدعٍ كثيرةٍ، ومخالفاتٍ متعددة، كبدعة الموالد، فقد اشتملت على زمانٍ، ومكانٍ، واجتماعٍ، وأذكارٍ، وهيئاتٍ، وطقوسٍ، وعقائدَ فاسدةٍ، وشركياتٍ، كالطَّواف بالقبور، والدُّعاء، والاستغاثة، والذَّبح، والنَّذر لأصحابها، والخوف، والرَّجاء، والتبرك، والتمسح، وغيرِ ذلك.

ومنها أيضًا: البدعةُ الخاصة والعامة.

فالخاصة: يعودُ ضَرَرُها على شخصٍ بمفردِه، كالتعبُّد بأذكارٍ لم يشرَعْها الرسول ﷺ.

والعامة: التي تَعدَّى فيها شرُّ المُبتدِعِ إلى الغير، كالموالد، والأوراد الصوفية المختلفة لكلِّ طريقةٍ، وكل ذلك لم يشرَعْه اللهُ ورسولُه ﷺ.

ومنها أيضًا: البدعة الاعتقادية، والقولية، والفعلية.

فالاعتقادية: كبدع الخوارجِ مِن تكفير مرتكبِ الكبيرة، وتخليدِهم في جهنَّمَ، وإيجابِ الخروجِ على الحاكمِ الظالم، وغير

ذلك، والجهميَّة الذين أنكروا صفاتِ الله تعالى، والقدريَّة في إنكارِهِم القدرَ، ودعواهم بأن الإنسانَ خالقُ فِعْلِه، وليس اللهَ تعالى، والصوفية في عبادتِهِم للقبور والأضرحة بزعمِ تعظيمِ الأولياءِ والصالحين وصرفِ مظاهر العبوديَّة لهم مِن دون الله تعالى.

والقولية: كما في الأذكار والأوراد الصوفية البدعية.

والعملية: كالزيادة المخترعة في هيئات العبادات، سواءٌ في الصلاة، أو الحج، ونحو ذلك.

*ومن أعظم أسبابِ نشوءِ البدع: (الجهل - واتِّباعُ الهوى في طلب الحق - وتحسينُ الظنِّ بالعقل).

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«وتَرْكُ الخُصُوماتِ والجُلُوسِ مَعَ أصحابِ الأهواءِ، وتَرْكُ المِراءِ والجِدالِ والخُصُومات في الدِّين»:

الشرح:

الخُصُومات: جمع خُصُومة؛ وهي الجدالُ والنِّزاع.

والدين واضحٌ بيِّن، الكتابُ والسُّنة، والعباداتُ توقيفيةٌ على نصوصِها، فلا مجالَ لِلجِدالِ والخصومةِ، وإن سأل سائلٌ أو جادل مجادلٌ فنرُدُّ الجوابَ للكتاب والسُّنة، قال تعالى: {فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ

ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾} [النساء:٥٩].

ويكونُ التعليمُ والنِّقاش والجِدال بالحُسنى والحِكمة؛ لقول الله تعالى: {۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴿٤٦﴾} [العنكبوت:٤٦]، وقوله تعالى: {ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴿١٢٥﴾} [النحل:١٢٥].

وقد نَهَى النبيُّ ﷺ عن الخُصُومات في الدِّين، والجدالِ العَقِيمِ في نصوص القرآن والسُّنة:

عن عبد الله بن عمرَ أن بعضَ الصحابة ذكروا آيةً فتَمَارَوْا فيها، حتى ارتفعت أصواتُهُم، فخرج رسولُ الله ﷺ مُغضَبًا وقد احمرَّ وجهُه يَرميهم بالتُّراب، ويقول: «**مَهْلًا يَا قَوْمِ، بِهَذَا أُهْلِكَتِ الْأُمَمُ مِنْ قَبْلِكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، وَضَرْبِهِمُ الْكُتُبَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا؛ بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ**»[(١)].

وفي رواية: خرج رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ والناسُ يتكلمون في القَدَرِ، وكأنما تفقَّأَ في وجهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِن الغضب، فقال لهم: «**مَا لَكُمْ تَضْرِبُونَ كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؟ بِهَذَا هَلَكَ مَنْ كَانَ**

[(١)] أخرجه أحمد (٦٧٠٢).

قَبْلَكُمْ»[١].

ففي ضربِ القرآن بعضِه ببعضٍ تشبُّهٌ بالكفار، قال تعالى: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} [غافر:٤]؛ أي: يجادلُ تكذيبًا بها.

ويستحيلُ أن يكونَ هناك أدنى تعارُضٍ أو تناقضٍ في آيات الله تعالى، إنما يأتي التعارُضُ مِن جهل المُتكلِّمين المُتخاصِمين، قال الإمام الطحاوي: ولا نخوضُ في اللهِ، ولا نُماري في دِينِ الله.

وقال: ولا نُجادِلُ في القرآنِ، ونشهَدُ أنه كلامُ ربِّ العالمين[٢].

فلا يَضرِبُ القرآنَ بعضَه ببعضٍ، ولا يُنشِئُ الخصوماتِ في الدِّين إلا أهلُ البدع والأهواء.

عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: تلا رسولُ الله ﷺ: {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟

---

[١] أخرجه أحمد (٦٦٦٨).

[٢] انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٩٣).

ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧} [آل عمران:٧]، وقال: «**فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ، فَاحْذَرُوهُمْ!**»[(١)].

وجوبُ هجر أهل البدع:

قال ابنُ قُدامةَ في «لمعة الاعتقاد»[(٢)]:

ومن السُّنة هِجرانُ أهلِ البِدَعِ ومُباينتُهُم، وتركُ الجِدالِ والخُصُومات في الدِّين، وتركُ النظر في كُتُبِ المبتدعةِ، أو الإصغاءِ إلى كلامِهِم.

وذلك لأنَّ القلوبَ ضعيفةٌ، والشُّبَهَ خطَّافةٌ، والصاحبَ ساحِبٌ، ولا بد لمن صَحِب أحدًا أن يتأثَّرَ به، ولذلك كان السلفُ يُحذِّرون منهم، ولا يُجالسونهم، ولا يُخالطونهم، ولا يُشاورونهم، ولا يسمعون منهم، ولا يتعلمون منهم، ولا يقرؤون كُتُبَهم، ويهجرونهم؛ لقول النبي ﷺ: «**فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ، فَاحْذَرُوهُمْ!**».

قال ابنُ بَطَّةَ العُكْبَري: يا معشرَ المسلمين، لا يحمِلنَّ أحدًا

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦١٩٧)، وأبو داود (٤٥٩٨).

(٢) (ص٤٠-٤١). وانظر: الرد على الجهمية، للإمام أحمد (ص١٢٠)، إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٩٥)، وشرح السنة، للبربهاري (ص٥٨)، الرسالة، للشافعي (ص٤١٨).

منكم حُسْنُ ظنِّه بنفسِه، وما عهِدَ مِن معرفتِه بصحة مذهبه على المُخاطرة بدينِه في مجالسةِ بعضِ أهل الأهواء، فيقول: أدخُلُ أُناظِرُه، أو أستخرجُ منه مذهبَه؛ فإنهم أشَدُّ مِن فِتْنةِ الدَّجَّال، وكلامُهم ألْصَقُ مِن الجَرَب، وأحرقُ للقلوبِ من اللَّهب[١].

قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ مِنْهُ مَا اسْتَطَاعَ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَمَا يَزَالُ بِهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ؛ لِمَا يَرَى مَعَهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ**»[٢].

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: لا تُجالِسْ أهلَ الأهواء؛ فإنَّ مجالستَهم مُمْرِضةٌ للقُلوبِ[٣].

ولذا قال الله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾} [الأنعام:٦٨].

النَّهيُ عنِ الجِدالِ والمِراءِ الذي لا يأتي منه فائدةٌ:

قال النبيُّ ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ**

---

[١] الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٤٦٩).

[٢] أخرجه أحمد (١٩٨٧٥).

[٣] أخرجه الآجري في الشريعة (١/١٩٦) وابن بطة في الإبانة (٢/٤٣٨).

وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا»[١]، فالجِدالُ المذمومُ هو الذي يُقصَدُ به الغَلَبةُ والانتصارُ للنفس.

والجِدالُ بالحسنى مشروعٌ إذا كان مِن ورائِه فائدةٌ، وهي إظهارُ الحقِّ، وإبطالُ الباطلِ، قال تعالى: {وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ}، وقال: {وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ}، وقال أيضًا: {قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١} [البقرة:١١١].

وقد جرَتْ مناظراتٌ بين علماءِ السَّلَفِ والزَّنادقةِ أو المبتدعةِ لاستظهار الحقِّ وبيانِ الباطل؛ لمصلحة الدِّين، كما جرى بين ابن عباس والخوارج، فرجع منهم ثُلُثُ الجيشِ، وتابوا وصلحوا، وكانوا ألفَي رجلٍ، وكما جرى بين الإمام أحمدَ وابن أبي دُؤَادَ عند المتوكِّل، وغير ذلك.

والحاملُ على الجدالِ المذمومِ هو الكِبْرُ واتِّباعُ الهوى الذي يمنعُ من قَبولِ الحقِّ، كما قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦} [غافر:٥٦].

---

[١] أخرجه أبو داود (٤٨٠٠).

وقال أيضًا: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤} [الحج:٣-٤].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ الخَصِمِ»[(١)].

قال الشافعيُّ رحمه الله: المِراءُ في الدِّين يُقَسِّي القلبَ، ويُورِثُ الضغائنَ.

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«والسُّنَّةُ عندنا آثارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، والسُّنَّةُ تَفْسيرُ القرآنِ، وهي دلائلُ القُرآنِ»:

الشرح:

السُّنة هي كلُّ ما صحَّ عن النبيِّ ﷺ من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقريرٍ، ولهذا أطلق المعتزلةُ على المُتمَسِّكِين بالسُّنَّة قولًا وعملًا واعتقادًا اسمَ «أهل السُّنة»، وهذا من عظيمِ الشرف للعبد في الدنيا والآخرة.

والسُّنَّةُ تُفسِّر القرآنَ: فقد جاء القرآنُ غالبًا مُجمَلًا، وكان التفصيلُ والبيانُ للسُّنَّة.

مثال ذلك قولُ اللهِ تعالى: {وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ} بإجمال، والسُّنة هي

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨).

التي فسَّرت وفصَّلت أحكامَ الصَّلاة، وأنواعَها، وشروطَها، وأركانَها، ومُبطِلاتِها، ومستحَبَّاتِها، قال النبي ﷺ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»[(١)].

وقال تعالى: {وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ}، والسُّنة هي التي بيَّنت أصنافَ الأموال التي تُخرَجُ منها الزكاةُ، وبيَّنتَ نِصابَ الزَّكاةِ، ومِقدارَها، وجميعَ أحكامِها.

قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ}، والسُّنة هي التي بيَّنت أركانَ الصيامِ، وشروطَ صحتِه، ومبطلاتِه، ومستحبَّاتِه، وكيفيَّتَه.

قال تعالى: {وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ}، والسُّنة هي التي بيَّنت وفسَّرت المناسكَ كلَّها، بالأركان والشروط والنواقض والمستحبَّات، قال النبي: ﷺ: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**».

وهكذا أكثرُ الأحكامِ الواردةِ بالقرآن.

السُّنة تؤكد القرآنَ كأحاديث وجوب الصلاة والزكاة ونحوِها.

السُّنة تأتي بأحكامٍ كثيرةٍ لم يأتِ بها القرآنُ، كحُرْمةِ الجمع بين المرأةِ وخالتها وعمَّتِها في النكاح، وميراثِ الجَدَّة، والمحارمِ من الرَّضاع... إلخ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١).

السُّنة تُخصِّص عمومَ القرآن، كقولِه تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ}، واستثنت السُّنةُ مِن المَيتةِ السَّمَكَ والجرادَ، ومِن الدمِ الكبِدَ الطِّحالَ، قال رسولُ الله ﷺ: «**أُحِلَّ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَالمَيْتَتَانِ: فَالسَّمَكُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ: فَالكَبِدُ وَالطِّحَالُ**»(١).

وقال النبيُّ ﷺ لمَّا سُئِل عن الوُضُوءِ بماءِ البحر: «**هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الحِلُّ مَيْتَتُهُ**»(٢).

وهي دلائل القرآن؛ لأنها تفصِّلُ مجمَلَه، وتخصِّصُ عمومَه، وتوضِّحُ مُبْهمَه، ونحو ذلك.

مَن أنكرَ السُّنةَ فقد أَنْكَرَ القرآنَ والإسلامَ، وهُوَ مُتَّهَمٌ على الإسلام؛ لأنه كَذَّبَ اللهَ في أمره، باتِّباع الرسولِ ﷺ في كلِّ ما جاء به من قرآنٍ وسُنَّةٍ، قال النبي ﷺ: «**يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِه يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي، مِمَّا أَمَرتُ بِهِ، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ، لَا، مَا وَجَدْنَا فِي كِتابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ، أَلَا وَإِنَّ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ مِثْلُ مَا قَالَ اللهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَه مَعَهُ**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٥٧٢٣)، وابن ماجه (٣٣١٤).

(٢) أخرجه أحمد (٧٢٣٣)، والترمذي (٦٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤).

والسُّنة هي الحِكمةُ التي أتاها اللهُ رسولَه محمدًا ﷺ، ودعا بها نبيُّ الله إبراهيمُ للنبيِّ محمدٍ ﷺ ولهذه الأمَّة، قال الله تعالى: {لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤} [آل عمران:١٦٤].

وقال عن دعوة إبراهيم: {رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩} [البقرة:١٢٩].

والسُّنة كتابُ الله كما أن القرآنَ كتابُ الله؛ لقول النبي ﷺ: «**لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ**»[(١)]، وقضى بالتغريب عامًا والرجم، وهما من السُّنة، وذلك في قضية العَسيف الزاني؛ فأطلَقَ على السُّنة اسمَ كتابِ الله كما أطلَقَ على القرآن.

والسُّنةُ ذِكرٌ كما أن القرآنَ ذِكرٌ؛ لقول الله تعالى: {وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤} [النحل:٤٤]، فالذي نُزِّلَ إلينا هو القرآنُ، والذِّكرُ المُبَيِّنُ للقرآنِ هو السُّنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٥)، ومسلم (١٦٩٧).

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«وليسَ في السُّنةِ قياسٌ، ولا تُضرَبُ لها الأمثالُ، ولا تُدرَكُ بالعُقُولِ، ولا الأهواءِ؛ إنَّما هو الاتباعُ وتَرْكُ الهَوَى»:

الشرح:

أي: أن أمورَ العقيدة توقيفيةٌ، لا يدخلها قياسٌ عقليٌّ، وإنما هو الإيمانُ والتصديقُ والتسليم من غير تكييفٍ ولا تشبيهٍ ولا تمثيلٍ ولا تعطيلٍ.

فاللهُ سميعٌ بصير، له سمعٌ يسمعُ به، وبصرٌ يبصرُ به؛ لكنه لا يُشبِهُ سمعَ المخلوقين، ولا بصرَهم، فليس كمثلِه شَيءٌ وهو السميعُ البصير، نُثبِت لله ما أثبَتَه لنفسِه، وننفي عن الله ما نفاه عن نفسِه، من غير تشبيهٍ ولا تكييفٍ ولا تعطيلٍ، وهكذا في بقيَّة الصفات وأمور الاعتقاد.

قال تعالى: {فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ ٧٤} [النحل:٧٤]، وقال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١} [الشورى:١١]، وقال: {وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤} [الإخلاص:٤]، وقال تعالى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ٦٥} [مريم:٦٥].

قال النبي ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا

حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[(١)].

فنُثبِتُ لله صفةَ النزول على ما يَليق بجلاله كما أخبر النبي ﷺ، ونقولُ: ينزل نزولًا يليقُ بجلاله، لا يُشبِهُ نزولَ المخلوقين، ولا يخلو منه العرشُ، والنزولُ معلومٌ، والكَيفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عن كيفيتِه بِدعةٌ.

كما قال الإمام مالكٌ رحمه الله لمَن سأله عن صفةِ الاستواء في قوله تعالى: {ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥} [طه:٥]، فقال: الاستواءُ معلومٌ، والكَيفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بِدعةٌ، {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١}[(٢)].

ومعلومٌ أن الاستواءَ في لغة العرب هو العُلُوُّ والارتفاعُ والاستقرار.

والسُّنةُ الواردةُ عن النبي ﷺ إذا ثبتت صحتُها- سواءٌ بطريق التواتر أو الآحاد- يجبُ قبولُها، والعمل بها، في العقيدة، أو العبادة، أو المعاملة، أو الأخلاق، ولا يجوز ردُّ الحديث الصحيح بالقياس

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٥٨).

العقلي، بزعم أن العقلَ لا يقبلُه، كحديث الذُّبابة إذا وقَعتْ في الإناءِ ونحوِه، وكذلك لا يجوزُ ردُّه لأنه ورد إلينا بطريقِ الآحادِ؛ لأنه لا يرُدُّ السُّنَّةَ لذلك إلا أهلُ الأهواء.

قال **الإمامُ أحمد** رحمه الله:

«ولا تُدرَكُ السُّنَّةُ بالعُقُولِ ولا بالأهواءِ، وإنَّما هو الاتِّباعُ وتَرْكُ الهَوَى»:

الشرح:

عقولُ البشر قاصرةٌ عن إدراكِ كيفيةِ الأمور الغَيبية، وعن الحِكمة التي شُرِعت لأجلها بعضُ الفرائض، كالطوافِ بالبيت، وتقبيل الحَجَر، ورمي الجِمار، والسعي بين الصفا والمَرْوة، ولا يسَعُها إلا التصديقُ والقَبولُ والاتباعُ والانقيادُ والاستسلامُ لأمر الله ربِّ العالمين، فالجنَّةُ التي هي من مخلوقاتِ الله عز وجل قال الله عنها: **«أَعْدَدتُّ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ:** {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}»[1]، فالجنَّةُ مخلوقٌ ولا نستطيع أن نُدرِكَ ما فيها من النعيمِ بعقولنا، ولا أوهامنا، ولا أفكارنا، فما بالُنا بالأمورِ الغَيبيةِ

---

[1] أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

التي تعبَّدَنا اللهُ بالإيمان بها، كعذاب القبر ونعيمه، وصفة الروح، والحشر، والبعث؟!

وإذا كنا لا نستطيعُ بهذا العقل المحدود القاصر أن ندركَ ماهيةَ كثيرٍ من المخلوقاتِ أو الغَيبيات، فهل يمكنُ إدراكُ حقيقة ذات ربِّ العالمين؟! فاللهُ سبحانه وتعالى ليسَ كمثلِه شيءٌ، وكلُّ ما خطر ببالِكَ فاللهُ بخلاف ذلك، ولا يعلمُ كيفَ اللهُ إلا اللهُ.

والإسلامُ حَثَّ الخَلْقَ على التعقل والتفكر والتدبُّر والتبصُّر في آياتِ الله الكونيَّة والشرعيَّة، ولم يأتِ بما يضادُّ العقلَ ولا بمُحالاتِه، وإنما جاء بما يتفقُ مع العقلِ السليمِ الذي حفِظَ اللهُ عليه فِطرتَه.

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«الإيمانُ بالقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه، والتصديقُ بالأحاديثِ التي جاءَتْ فيه، والإيمانُ بها، لا يقالُ: لِمَ؟ ولا يقال: كيفَ؟ إنَّما التصديقُ والإيمانُ بها»:

الشرح:

الإيمانُ: هو التصديقُ والاعتقادُ الجازم المقترن بالانقياد.

والقَدَرُ: هو ما قَدَّره اللهُ تعالى في الأزل أن يكونَ في خلقِه؛ بناءً على علمِه السابقِ بذلك، قَدَّرَ الله؛ أي: أحاط بمقداره.

والقضاء: هو ما قضى به اللهُ سبحانه في خلقِه من إيجادٍ، أو إعدامٍ، أو تغيير.

والفرقُ بين القضاء والقَدَر هو أن القدرَ تقديرُ الشيءِ قبلَ قضائه، والقضاءُ هو الفراغُ من الشيء.

وذلك- ولله المثل الأعلى- كالخيَّاط الذي يُقدِّر الثوبَ بالسَّعةِ والضِّيقِ، والطولِ والقِصَر، ونحو ذلك، فإذا خاطه وفرغ منه فقد قضاه.

وعلى هذا فالقدرُ سابقٌ للقضاء.

قال ابن الأثير: القضاءُ والقَدَرُ أمران متلازمان، لا ينفَكُّ أحدُهُما عن الآخر؛ لأن أحدَهما بمنزلة الأساس، والآخر بمنزلة البناء، وهو القضاءُ، فمَن رام الفصلَ بينهما فقد رام هدمَ البناء ونقضَه، والقضاءُ والقَدَر إذا اجتمعا في الذِّكر افترقا في المعنى، فأصبح لكلٍّ منهما معنًى يخُصُّه، وإذا افترقا في الذكر اجتمعا، ودخل أحدُهما في معنى الآخر.

والإيمانُ بالقَدَر ركنٌ من أركان الإيمان، دل عليه القرآنُ والسُّنة وإجماع الأمة.

قال تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢} [الفرقان: ٢]، وقال

سبحانه: {وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾} [الأحزاب:٣٨]، وقال: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾} [القمر:٤٩].

وقال النبي ﷺ في حديث جبريلَ لما سأله عن الإيمان: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[(١)].

وقال ﷺ: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»، قال: «**وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى العَجْزُ والكَيْسُ**»[(٣)].

قال النووي: تظاهرت الأدلةُ القطعيةُ من الكتاب والسُّنة وإجماع الصحابة، وأهل الحَلِّ والعَقد من السلف والخلف على إثباتِ قَدَرِ اللهِ سبحانه وتعالى.

مراتب القدر:

للقَدر أربعُ مراتبَ، دلت عليها نصوصُ الكتاب والسُّنة، وهي:

١ـ **مرتبة العلمِ**؛ يعني: علمَ اللهِ بكلِّ شيءٍ من الموجوداتِ

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٥٥).

والمعدومات، والممكنات والمستحيلات، وإحاطته بكلِّ شيءٍ علمًا، فعلِمَ ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾} [الملك:١٤]، وقال سبحانه: {لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾} [الطلاق:١٢] وقال أيضًا: {أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾} [التوبة:٧٨].

وقال النبي ﷺ لما سُئِل عن أولاد المشركين: «**اللهُ أعلَمُ بما كانوا عامِلِين**»[(١)].

٢ـ **مرتبة الكتابة**؛ يعني: كتابةَ الله تعالى لكلِّ شيءٍ مما هو كائنٌ إلى قيامِ الساعة، قال تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾} [الحج:٧٠]، وقال تعالى: {مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾} [الحديد:٢٢].

وقال: {وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾} [يس:١٢].

وقال النبي ﷺ: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ**

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٤)، ومسلم (٢٦٥٩).

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، قال: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»[١].

٣ـ **مرتبة المشيئة**: فما شاء اللهُ كان، وما لم يشَأْ لم يكُنْ، قال تعالى: {إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾} [يس:٨٢]، وقال سبحانه: {وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾} [التكوير:٢٩].

وقال النبي ﷺ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمْ فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ»[٢].

٤ـ **مرتبة الخلق والإيجاد**: فاللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ وموجدُه وقتَ ما يشاءُ بقدرتِه الكاملة، قال تعالى: {ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾} [الزمر:٦٢].

وقال: {وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾} [الصافات:٩٦].

فهو سبحانه وتعالى خالقُ كلِّ عاملٍ وعَمَلَه، وكلِّ مُتحرِّكٍ وحركتَه، وكلِّ ساكنٍ وسُكُونَه.

قال النبي ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى

---

[١] سبق تخريجه.

[٢] أخرجه مسلم (٢٦٧٩).

المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ»[(١)].

مِن ثمرات الإيمان بالقدر: أنه يورثُ كمالَ التوكل على الله، والرضا بما قسَمَه الله، وراحة النفس وطُمأنينة القلب؛ لأن كلَّ شيءٍ بقدر الله، واللهُ لا يقضي لعبده إلا الخيرَ، حتى وإن كان القدرُ في ظاهره شرًّا، ويطرد القلقَ والضجرَ، والعُجْبَ بالنفس؛ لأن كلَّ شيء بقدر الله ومشيئته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

وتقدير الله تعالى أنواع[(٢)]:

١ـ **التقدير الأزلي**؛ لقوله تعالى: {مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾} [الحديد:٢٢-٢٣].

٢ـ **التقدير العمري**: عند تخليق النُّطفة كما ورد في حديث ابن مسعود: حدثنا رسولُ الله ﷺ- وهو الصادقُ المصدوق-: «إِنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩١). وانظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (ص٣٦٤)، ولمعة الاعتقاد، لابن قدامة (ص٥٠).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (ص٢٥٦)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٨/ ٤٣٣)، شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين (١/ ١٦٥)، و٢٠٠ سؤال في العقيدة، حافظ حكمي (ص١٥٢).

أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»[1].

٣ـ **التقدير الحَوْلي**: في ليلة القدر، يُقدَّر فيها ما يكونُ في السَّنة، قال تعالى: {إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥} [الدخان:٣-٥].

٤ـ **التقدير اليومي**: وهو سَوقُ المقاديرِ إلى المواقيتِ التي قُدِّرت لها فيما سبَقَ، قال تعالى: {يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ۝٢٩} [الرحمن:٢٩].

يُميتُ نَفْسًا ويُحيي أخرى، ويغفر ذنبًا، ويفرِّج كربًا، ويشفي مريضًا، ويعافي مبتلًى، ويرفع قومًا، ويضعُ آخرين، ويرزُقُ قومًا،

---

[1] أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

ويغني ويَحرِم ويُعطي ويمنع... إلخ.

سُئل النبيُّ ﷺ: فيمَ العملُ؟ أفيما جفَّتْ به الأقلامُ وجرَتْ به المقاديرُ أم أن الأمرَ مستأنفٌ؟

قال ﷺ: «**بَلْ فِيمَا بِهِ جَفَّتْ الأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ**».

قالوا: ففيمَ العملُ؟ قال ﷺ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»[(١)].

فأهلُ السعادةِ يُيسَّرون لعمل أهل السعادة، وأهلُ الشقاوة يُيسَّرون لعمل أهل الشقاوة باختيار كلٍّ منهم، والمُوفَّقُ مَن وَفَّقَه اللهُ وأعانه، فاللهُ عز وجل أرسل الرُّسُلَ، وأنزل الكُتُبَ، وبيَّن الهدى من الضلال، فمَن شاء فلْيُؤمِنْ، ومَن شاء فلْيَكفُرْ، فريقٌ في الجنَّةِ، وفريقٌ في السَّعير!

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٨).

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«ومَن لم يَعرِفْ تَفْسِيرَ الحَديثِ، ولم يَبلُغْه عَقْلُه، فقَدْ كُفِي ذلك، وأُحكِمَ له، فعليه الإيمانُ به، والتسليمُ له، مثلُ حديث الصادقِ المَصْدوقِ، ومثلُ مَا كانَ مِثْلَه في القَدَر»:

الشرح:

ما صحَّ من الحديث عن رسول الله ﷺ سواءٌ كان في العقيدة أو الأحكام، متواترًا كان أم آحادًا: وجب قبولُه، واعتقادُه، والعملُ به، وهذا إجماعُ السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

فالذين نقَلوا لنا الخبرَ المتواترَ هم أنفُسُهم الذين نقلوا إلينا خبرَ الآحاد، والذين نقلوا أحاديثَ الأحكام هم الذين نقلوا أحاديثَ الصفات، ونؤمنُ بكلِّ ما صحَّ عن نبيِّنا محمدٍ ﷺ، سواءٌ ما أدركت عقولُنا معناه، أو لم تُدرِكْه، فلسنا بأعلَمَ ممَّن نقلوا هذه الأحاديثَ، وآمَنوا بها كما وردت، فنقف حيث وقفوا، قال ابن مسعود: اتَّبِعوا ولا تبتَدِعوا، فقد كُفِيتم.

حديث الصادق المَصدوق في القَدَر؛ لأن اللهَ تعالى بعلمِه السابقِ كتَبَ الرِّزقَ والأجلَ والعملَ والشقاوةَ والسعادةَ، واللهُ تعالى لا يُسأَلُ عما يفعلُ وهم يُسألون.

والحديث الآخر في القَدَر حديث ابن عباس: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»[1].

قال الإمام الطحاوي: فمَن سأل لِمَ فعَلَ؟ فقد ردَّ حُكمَ الكتابِ، ومَن ردَّ حُكمَ الكتابِ كان مِن الكافرين، فإنَّ القَدَر سرُّ الله في خلقه، لا يُسأل عمَّا يفعل!

قال **الإمامُ أحمد** رحمه الله:

«ومثلُ أحاديثِ الرُّؤيةِ كلِّها، وإنْ نَبَتْ عَنِ الأسماعِ واستَوْحَشَ منها المُستَمِعُ، فعليه الإيمانُ بها، وألا يرُدَّ منها حَرفًا واحدًا، وغيرها مِن الأحاديثِ المأثورةِ عن الثِّقات»:

الشرح:

وهذا مِن أحكامِ العموم؛ لكن الحكمَ على المعيَّن يحتاج إلى إقامة الحُجَّة، وإزالة الشُّبهة وتوافر شروط، وزوال موانع.

وقد ثبتت رؤيةُ المؤمنين لربِّهم في القيامة في جنَّات النعيم، وأنها أعظمُ نعيمِ أهل الجنَّة، وذلك في الكتاب والسُّنة، وبإجماع أهل

---

[1] أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

السُّنة.

قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾} [القيامة:٢٢-٢٣]، وقال تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴿٢٦﴾} [يونس:٢٦]، والزِّيادةُ هي النظرُ إلى وجه الله الكريم، كما بيَّنها النبيُّ ﷺ، وكذا فسَّرها أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه [(١)].

قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُرْفَعُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ. ثُمَّ تَلَا: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴿٢٦﴾} [يونس:٢٦] [(٢)].

ونظر النبيُّ ﷺ إلى القمر في ليلة الرابعَ عشَرَ، فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيانًا كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِه- أي: لا تزدحمون ولا تجدون مشقةً- فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ فَافْعَلُوا»[(٣)].

---

(١) انظر: مسند إسحاق بن راهويه (٣/ ٧٩٣)، والرد على الجهمية (ص١١٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٨١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٥٤) (٧٤٣٦).

وسأل ناسٌ رسولَ الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يومَ القيامة؟ فقال: «**هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟**». قالوا: لا. قال: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**»[(١)].

وأهلُ البدع من الجهمية والمعتزلة يُنكِرون رؤيةَ الله في الآخرة، ويحتجون بقولِ الله تعالى: {لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ} [الأنعام:١٠٣]، وحجتهم داحضةٌ؛ لمعارضتِها النصوصَ الشرعيةَ؛ لأن الإدراكَ شيءٌ والرؤيةَ شيءٌ آخَرُ، فالنصُّ الواردُ في نفي الإدراكِ لا الرؤيةِ، ومعناه: الإحاطة، والله تعالى قال: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا} [طه:١١٠]؛ والرؤية قد ثبتت النصوصُ بها، ولله المثلُ الأعلى، فهذه الشمسُ نراها بأبصارنا، ومع ذلك لا نُحيطُ بها علمًا، ولا نُدرِكُ كُنْهَها، فأهلُ الجنَّةِ يرون ربَّهم في الآخرة، ومع ذلك لا يُدرِكونُه سبحانه.

واحتجوا أيضًا بسؤال موسى في قوله تعالى: {رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي}، وليس لهم فيها حجةٌ؛ لأن المعنى: لن تراني في هذه الدنيا، بدليل قوله سبحانه: {فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ}، فالجبلُ مع قوتِه وصَلابتِه لم يَقدِرْ على رؤيةِ الله ونوره فكيف بموسى؟!

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٢) واللفظ له.

أما في الآخرة في الجنة فإن اللهَ يخلُقُ أهلَ الجنة على خلقٍ آخرَ، يمنحهم القدرةَ على تحمُّلِ النظرِ إلى وجه الله الكريم.

قال النبي ﷺ: «**حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[1].

قال **الإمامُ أحمد** رحمه الله:

«**ولا يخاصِمُ أحدًا، ولا يُناظِرُه، ولا يَتعلَّمُ الجِدالَ، فإنَّ الكلامَ في القَدَرِ والرؤيةِ والقرآنِ وغيرِها من السُّنَنِ مَكروهٌ ومنهيٌّ عنه، لا يكونُ صاحبُه- وإن أصابَ بكلامِه السُّنةَ- مِن أهلِ السُّنة، حتى يدَعَ الجِدالَ ويُسلِّمَ، ويُؤمِنَ بالآثارِ**»:

الشرح:

المنهيُّ عنه هنا من المخاصمة والمناظرة والمجادلة هو ما يؤدي إلى البغضاء والشحناء في مسائلَ مختلفٍ فيها بين أهل السُّنة وأهل البدعة، أو يؤدي لإحقاق الباطل وطمس الحق.

أما إذا كان ذلك لإظهارِ الحقِّ وبيانه، ونصرة الشريعة، وإبطال الباطل، فهذا مأمورٌ به شرعًا، قال تعالى: {وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ}.

---

[1] أخرجه مسلم (١٧٩).

فالمنهيُّ عنه كالجدالِ في علمِ الكلام، والقَدَر، وتأويلِ الصِّفات، وخَلْقِ القرآن، والرؤيةِ، والشفاعةِ، والحوضِ، ونحو ذلك مما خاض فيه أهلُ البدع بالباطل.

فأهلُ السُّنة يؤمنون ويُسَلِّمون ويَرْضَون بالآثار، ولا يخوضون فيما تكلَّفَ فيه أهلُ البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرِهم.

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«والقرآنُ كلامُ الله، وليسَ بمَخْلُوقٍ، ولا يَضعُفُ أَن يَقُولَ: لَيْسَ بمَخْلوقٍ.

قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ لَيْسَ ببائنٍ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مَخلُوقًا.

وَإِيَّاكَ ومُناظَرةَ مَن أحدَثَ فِيهِ وَمَن قَالَ بِاللَّفْظِ وَغَيرِهِ، وَمَنْ وقَفَ فِيهِ فَقَالَ: لَا أَدْرِي مَخْلُوقٌ أَو لَيْسَ بمَخْلُوقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَام اللهِ؟!

فَهَذَا صَاحب بِدعَةٍ، مِثلُ مَن قَالَ: هُوَ مَخْلُوقٌ.

وَإِنَّمَا هُوَ كَلَام الله لَيْسَ بمَخْلوقٍ»:

الشرح:

مِن صفاتِ الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة أنه يتكلَّمُ كيف شاء وقتَما يشاء، ومِن كلامه جل وعلا ما أنزله من الأمرِ والنهيِ والمواعظِ والأحكام في كتبه، كالتوراة، والإنجيل، والقرآن، والزَّبُور.

قال تعالى: {وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤} [النساء:١٦٤]، وقال: {وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ} [التوبة:٦]، وقال: {وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢} [النساء:١٢٢].

وقال: {وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧} [النساء:٨٧]، وقال: {وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ} [الأعراف:١٤٣]، وقال: {وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ} [البقرة:٣٠]، وقال: {وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ} [المائدة:١١٦].

وكلامُه سبحانه مِن صفاتِ ذاته، من أخصِّ صفاتِ الله تعالى أنه يتكلمُ ويُوحي لأنبيائه ورسله، ويبيِّنُ لخلقِه مرادَه منهم، { يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ}، وكذلك كلامُه سبحانه مِن صفاتِ أفعاله، يتكلَّمُ كيفَ شاء وقتما يريد.

ولما زعم قومُ إبراهيمَ عليه السلام في الأصنام أنَّها آلهةٌ كسَّرَها إبراهيمُ قائلًا: {مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢} [الصافات:٩٢]، وقال لقومه: {فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣} [الأنبياء:٦٣]، فكيف تكونُ آلهةً وهي أصلًا لا تتكلم؟!

قال الله تعالى: {أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ}، فالخلقُ جميعًا من خلق الله، {ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢} [الزمر:٦٢].

والأمر جميعًا لله وحدَه: {بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا}.

وهنا فَرَّق اللهُ بين الخَلْق والأمر؛ لأن الخَلْقَ مِن مخلوقاتِه، والأمرَ والنهيَ من صفاته وكلامه، واللهُ جل وعلا بأسمائه وصفاته هو الخالقُ، وذاته وصفاته ليست مخلوقةً.

والقرآن كلام الله، وهو أمرُه ونهيُه وحُجَّتُه الباقيةُ على خَلْقِه، وكلامُه صفةٌ من صفاته، وصفاتُ الله لا تنفَكُّ عن ذاته، وصفاته ليست مخلوقةً، فالقرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ؛ بل هو من صفاته جل وعلا.

النبيُّ محمدٌ ﷺ وصحابتُه الكرامُ وتابعوهم بإحسانٍ يقولون: إن القرآنَ كلامُ الله، ولم يثبُتْ أن أحدًا منهم قال بأنه مخلوقٌ من مخلوقات الله.

والذين قالوا ببدعة خَلْقِ القرآن هم اليهودُ والمنافقون، ثم أخذها عنهم أهلُ البدع والضلال، وهكذا كُلُّ بدعةٍ ظهرت في المسلمين أصلُها يهوديٌّ، أو مجوسيٌّ، أو نصرانيٌّ.

فأوَّل مَن قال ببدعة خَلْقِ القرآن هو لَبِيدُ بنُ الأعصم المنافق اليهودي، وأخذها عنه طالوتُ، ابنُ أخت لَبيد، وعنه بيان بن سمعان، وعنه الجعدُ بن درهم الذي قُتِلَ رِدَّةً عن دين الله، وعنه

الجهمُ بن صفوان الذي ذبحه سالمُ بن أحوز، وعنه بشرُ المَرِيسيُّ شيخُ المعتزلة، وعنه أحمدُ بن أبي دؤاد (أحمد البِدْعة)، وأضَلُّوا بها الخليفةَ المأمونَ؛ حتى جعلوه يَحمِلُ الناسَ عليها، ويَمتحِنُهم بها.

والقرآنُ كلامُ اللهِ، ليسَ ببائنٍ منه؛ أي: أنَّ القرآنَ من كلامه، وكلامُه من صفاتِه، وصفاتُه ليست مخلوقةً ولا منفصلةً عن ذاته.

القرآن كلام الله منه بدأ، وإليه يعود؛ أي: أن اللهَ تعالى هو الذي ابتدأ بالقرآنِ وتكلَّمَ به أولًا، وقرأه على جبريلَ عليه السلام، وسمعه جبريلُ من ربِّ العِزَّةِ سبحانه، ثم قرأه جبريلُ كما سمعه على النبي ﷺ، وسمعه النبيُّ ﷺ من جبريل، وقرأه كما سمعه على أصحابه إلى يومنا هذا، وسيظل هكذا حتى قيامِ الساعةِ؛ حيث يرفَعُ اللهُ القرآنَ، فيعود إليه كما بدأ منه، ولا يبقى منه على ظهر الأرض آيةٌ، لا في المصاحف ولا في الصدور؛ لقول النبي ﷺ: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا**».

فقال صِلَةُ بنُ زُفَرَ لحُذَيفةَ رضي الله عنه: **مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ**

إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ» ثَلَاثًا[1].

هناك طائفه سُمِّيت بـ «اللفظية»، وهم الذين قالوا: «لفظي بالقرآن مخلوقٌ»، وهم بذلك جعلوا كلامَ الله مخلوقًا أيضًا، ولذا ألحقهم الإمامُ أحمدُ بالجَهميَّة والمعتزلة.

هناك طائفة تسمى بـ«الواقفة»، وهم الذين توقَّفوا، وقالوا: لا نقول: «القرآنُ مخلوقٌ ولا غيرُ مخلوق». وأيضًا ألحقهم الإمام بالجهمية والمعتزلة.

وكلامُ الله تعالى لا يَنفَدُ ولا يَنقُصُ ولا يَفْنَى، وجَلَّ عن الإحصاء، قال تعالى: {قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩} [الكهف:١٠٩].

فكلامُ الله صفةٌ من صفاته، وليس من صفاته سبحانه شيءٌ يفنى؛ بل هو الباقي سبحانه بأسمائه وصفاته أزلًا وأبدًا.

---

[1] أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩).

الكلامُ لا يسمى كلامًا إلا إذا خرج من صاحبه، ولذلك ضلَّت الأشاعرةُ حينما قالوا بأن القرآنَ معنًى قائمٌ بالنفس، قائمٌ بذات الربِّ، أما الألفاظُ فمخلوقةٌ.

هذا من عجائبِهم، قصدوا أن القرآنَ هو ما يدور في نفس الله، وأنه لم يتكلَّمْ به؛ بل المتكلِّمُ به جبريلُ عليه السلام؛ حيث عبر جبريلُ بصوته وحروفه عما يجولُ في نفس الربِّ، فالربُّ عندهم لا يتكلم.

القرآنُ كلامُ الله، وإضافته إلى الله إضافةُ صفةٍ لموصوفٍ، وليست إضافةَ مخلوقٍ لخالق.

والله جل وعلا ليس مَحِلًّا للحوادثِ، ليس فيه شيءٌ مخلوقٌ، وهو عز وجلَّ الخالقُ بأسمائه وصفاته.

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«والإيمانُ بالرُّؤيةِ يومَ القِيَامةِ، كما ورد عن النبيِّ ﷺ مِن الأحاديثِ الصِّحاحِ، وأنَّ النبيَّ ﷺ قد رأى ربَّه، فإنَّه مأثورٌ عن رسولِ الله صحيحٌ، رواه قتادةُ عن عِكرمةَ عن ابنِ عباسٍ، ورواه الحكمُ بنُ أَبَانَ عن عِكرمةَ عن ابنِ عباسٍ، ورواه عليُّ بنُ زيدٍ عن يوسُفَ بنِ مِهرانَ عن ابنِ عباسٍ.

والحديثُ عندنا على ظاهرِه، كما جاء عن النبيِّ ﷺ، والكلامُ فيه بِدْعةٌ؛ ولكننا نؤمِنُ به كما جاءَ على ظاهرِه، ولا نُناظِرُ فيه أحدًا»:

الشرح:

سبق بيانُ رؤية المؤمنين لربِّهم في القيامة في جنَّاتِ النعيم.

وأما رؤيةُ النبي ﷺ لربِّه جل وعلا في ليلة الإسراء والمعراج فقد سُئل النبيُّ ﷺ عنها كما ورد في حديث أبي ذرٍّ، قال: يا رسولَ الله، هل رأيتَ ربَّك؟ فقال ﷺ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»، وفي رواية: «**رَأَيْتُ نُورًا**»؛ أي: كيف أراه، ما رأيتُ إلا النورَ؛ وهو الحجابُ الذي بين الله وبين خلقه؛ لقول النبي ﷺ: «**حِجَابُهُ النُّورُ؛ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[1].

---

[1] سبق تخريجه.

فالنبيُّ ﷺ أخبر بنفسه أنه لم يرَ ربَّه تعالى في المعراج، ولذلك قالت أمُّنا عائشةُ زوجُ النبي ﷺ: **ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي، وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ} [التكوير: ٢٣]، {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»**[(١)].

يعني: ما رآه على هيئتِه التي خلَقَه اللهُ عليها إلا مرتين، فيراه قد سَدَّ ما بين السماءِ والأرضِ لِعِظَم خلقه.

فالذي رآه النبيُّ ﷺ هو جبريلُ عليه السلام.

وأما ما ورد عن ابن عباسٍ من أن النبيَّ ﷺ رأى ربَّه في المعراجِ

[(١)] أخرجه مسلم (١٧٧).

فمعناه كما صح عنه أن النبيَّ ﷺ رأى ربَّه رؤيةً قلبيةً[١].

فما أثبته ابنُ عباس لا يتعارض مع قول النبي ﷺ، ولا قول عائشة، ولا قول أبي ذرٍّ، فالجميع متفِقٌ على أنه ﷺ لم يرَ ربَّه بعينه رؤيةً بصريةً.

ولذا قال الإمام أحمد: «**والحديثُ عندنا على ظاهرِه، كما جاء عن النبيِّ ﷺ، والكلامُ فيه بِدْعةٌ؛ ولكننا نؤمِنُ به كما جاءَ على ظاهرِه، ولا نُناظِرُ فيه أحدًا**».

وأما رؤيةُ النبي ﷺ لربِّه في المنام فهي ثابتةٌ، كما ورد في حديث مُعاذِ بن جبلٍ رضي الله عنه من قول النبي ﷺ: «**رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ**»[٢]، في حديثِ المنام؛ أي: رآه في المنامِ على صورةٍ تدلُّ على أنه اللهُ سبحانه وتعالى.

---

[١] أخرجه الإمام أحمد (١٩٥٦)، والنسائي في السنن الكبرى (١١٤٧١). وفيه قول ابن عباس: «رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَلْبِهِ مَرَّتَيْنِ».

[٢] أخرجه الترمذي (٣٢٣٤).

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«والإيمانُ بالمِيزانِ يومَ القيامةِ، كما جاء: «يُوزَنُ العَبْدُ يَومَ القِيَامَةِ، فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»، و«تُوزَنُ أعمالُ العِبَادِ»، كما جاءَ في الأثرِ، والإيمانُ به، والتصديقُ به، والإعراضُ عمَّن ردَّ ذلك، وتَرْكُ مُجادَلتِه»:

الشرح:

الإيمانُ باليومِ الآخِرِ من أركان الإيمان، ويدخل فيه الإيمانُ بالميزانِ أو بالموازين التي تُوزَنُ بها أعمالُ الخلائق، وهذا ثابتٌ بالكتاب والسُّنة وإجماعِ أهلِ السُّنة.

قال تعالى: {وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧} [الأنبياء:٤٧].

وقال: {وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ٩} [الأعراف:٨-٩].

وعن أنسٍ قال: سألتُ النبيَّ ﷺ أن يشفعَ لي يومَ القيامة، فقال: «**أَنَا فَاعِلٌ**». قلت: يا رسولَ الله، فأين أطلبُك؟ قال: «**اطلُبْنِي أَوَّلَ مَا**

تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ». قلت: فإن لم ألقَكَ عند الصراط؟ قال: «فاطلُبْنِي عِنْدَ المِيزَانِ». قلت: فإن لم ألْقَكَ عندَ الميزان؟ قال: «اطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ، فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ»[(٢)].

وقال النبيُّ ﷺ عن دِقَّةِ ساقَيْ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: «والذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِن جَبَلِ أُحُدٍ»[(٣)].

والذي يُوزَن يومَ القيامة: الأعمالُ، أو صحائفُها، أو العاملُ نفسِه، وقد دل على وزنِ الأعمال الحديثُ سالفُ الذكر: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ».

ودلَّ على وزن صحائفِ الأعمالِ حديثُ عبد الله بن عمرو بن العاصِ رضي الله عنهما: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٨٢٥)، والترمذي (٢٤٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦٣).

(٣) الجامع لابن وهب (٥٥٥).

البَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ: أُتنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ اللهُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ. فَيُخْرِجُ لَهُ بِطَاقَةً فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ. فَيَقُولُ: يَا ربِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟! فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ. قَالَ: فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ. قَالَ: وَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»[1].

فدل الحديثُ على أن الميزانَ له كِفَّتان، وأن المَوزونَ هو الصحيفة.

ومما دلَّ على أن الموزونَ هو العاملُ نَفْسُه حديثُ ابنِ مسعود سالفُ الذكر: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ عِندَ اللهِ مِن جَبَلِ أُحُدٍ»، وقولُ النبي ﷺ: «تُوضَعُ المَوَازِينُ يَومَ القِيَامَةِ، فَيُؤتَى بِالرَّجُلِ فَيُوضَعُ فِي كَفَّةٍ، ويُوضَعُ مَا أُحْصِيَ عَلَيهِ، فَيَمِيلُ بِهِ المِيزانُ، فَيُبْعَثُ إِلَى النَّارِ، فَإِذَا أَدْبَرَ إِذَا صَائِحٌ مِنْ عِنْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: لَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لَهُ، فَيُؤْتَى بِبِطَاقَةٍ فِيهَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَتُوضَعُ مَعَ

---

[1] أخرجه الترمذي (٢٦٣٩).

الرَّجُلِ فِي كِفَّةٍ حَتَّى تُمِيلَ به الميزانَ»[١].

وقال ﷺ: «إنَّه لَيَأْتِي الرجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ يومَ القيامةِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»[٢].

ج ـ وقد أنكَرَ الميزانَ في القيامةِ أهلُ البِدَعِ من الجهميَّةِ، والمعتزلةِ، والفلاسفةِ، والباطنية، ولا عبرةَ بهم جميعًا، قال تعالى: {هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ}.

قال **الإمامُ أحمد** رحمه الله:

«وأنَّ اللهَ تعالى يُكلِّمُ العِبادَ يَومَ القيامةِ، ليسَ بَينَهم وبينَه تَرْجُمانٌ، والإيمانُ به، والتصديقُ به»:

الشرح:

سبق أن بينَّا أن من صفاتِ الله تعالى الذاتيَّةِ والفعليَّةِ صفةَ الكلام، فهو سبحانه يتكلمُ كيف شاء، وقتما يشاءُ في الدنيا والآخرة، ومِن كلامِ الله جل وعلا في الدنيا القرآنُ الكريمُ، والكتبُ المُنَزَّلةُ والوحيُ المنزلُ على الأنبياء والمرسلين.

ومِن كلامِ الله تعالى في القيامة: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى

---

[١] أخرجه أحمد (٧٠٦٦).

[٢] أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَامِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾} [فصلت:٤٧]، وقال تعالى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾} [القصص:٦٢].

ويقول لأهل الجنة: هَل رَضِيتم؟ هل أَزِيدُكم؟

قال النبيُّ ﷺ: «**مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللهُ يومَ القِيامةِ، ليسَ بينَهُ وبينَهَ تُرْجُمانٌ، فيَنظُرُ أيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِن عَمَلِه، ويَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، ويَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرى إِلَّا النَّارَ تِلقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»[(١)].

والأدلةُ على ذلك متواترةٌ بنصوصِ الكتاب والسُّنة.

[(١)] أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«والإيمانُ بالحَوْضِ، وأنَّ لرسولِ اللهِ حَوضًا يومَ القيامةِ تَرِدُ عليه أُمَّتُهُ، عَرْضُه مِثْلُ طُولِهِ، مَسِيرةُ شَهْرٍ، آنِيَتُه كعَدَدِ نُجُومِ السَّماءِ، عَلَى ما صحَّتْ به الأخبارُ مِن غَيْرِ وَجْهٍ»:

الشرح:

يؤمنُ أهلُ السُّنة والجماعة أن لكل نبيٍّ حوضًا تَرِدُ عليه أمَّتُه، يشربون منه، ويرتَوُون مِن ظمأ يومِ القيامة وحرِّه؛ لقول النبي ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا»[١].

ويؤمنون بأن للنبيِّ محمدٍ ﷺ حوضًا عظيمًا ماؤه أشدُّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العَسَل، وأطيبُ من ريح المِسْك، عددُ آنيتِه كعددِ نجومِ السماء، مَن شرِبَ منه شربةً لا يظمأُ بعدها أبدًا؛ لقول النبي ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»[٢].

وقال ﷺ: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ،

---

[١] أخرجه الترمذي (٢٤٤٣).

[٢] أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ**»[(١)].

وهذا الحوضُ لا يشرَبُ منه المُرتَدُّون ولا أهلُ البدع ولا المنافقون؛ لقول النبي ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَصْحَابِي، يَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[(٢)]، وفي رواية: «**فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ أَحْدَثَ بَعْدِي**»[(٣)].

قال ابن عبد البَرِّ رحمه الله: قال علماؤنا رحمهم الله: كُلُّ مَنِ ارتدَّ عن دين الله، أو أحدَثَ فيه ما لا يرضاه اللهُ، ولم يأذَنْ به الله، فهو من المَطرودين عن الحوضِ، المُبْعَدين عنه، وأشدُّهم طردًا مَن خالفَ جماعةَ المسلمين، وفارق سبيلَهم، كالخوارج على اختلاف فِرَقِها، والروافضِ على تبايُنِ ضلالِها، والمعتزلةِ على أصناف أهوائها، فهؤلاءِ كلُّهُم مُبدِّلون، وكذلك الظَّلَمة المُسرِفون في الجَورِ، وطَمْسِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٠).

الحقِّ وقتلِ أهله، والمُعلِنونَ بالكبائر المستخِفُّون بالمعاصي، وجماعات أهل الزَّيغ والأهواء والبدع[١].

وأهلُ البدع من الخوارج والمعتزلة يُنكِرون الحَوضَ على الرغم من تواتُر أحاديثِه الثابتةِ عن النبيِّ ﷺ.

والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلًا.

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«والإيمانُ بعذابِ القَبْرِ، وأنَّ هذه الأمَّةَ تُفتَنُ في قُبُورِها، وتُسأَلُ عن الإيمانِ والإسلامِ، ومَن ربُّها، مَن نَبِيُّها؟ ويأتيهم مُنكَرٌ ونَكِيرٌ كيفَ شاء اللهُ، وكيفَ أراد، والإيمانُ به، والتصديقُ به»:

الشرح:

عذابُ القبر ونعيمُه ثابتان بنصوصِ القرآن والسُّنة وإجماع أهل السُّنة، لم يُخالِفُ في ذلك إلا أهلُ الأهواءِ والبدع من المعتزلة والجهمية ومَن نحا نحوَهم.

قال تعالى عن فرعون وأتباعه: {وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ} [غافر: ٤٥-٤٦]؛ أي: في

---

[١] انظر: الاستذكار (١/ ١٩٥)، والتمهيد (٢٠/ ٢٦٢).

قبورهم، {وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾} [غافر:٤٦] فلهم عذابان: الأولُ في القبر، والثاني في القيامة.

وقال تعالى: {وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾} [الأنعام:٩٣]، {ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ}؛ أي: في قبوركم.

وقال تعالى عن كَفَرةِ قومِ نوحٍ: {مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾} [نوح:٢٥]؛ أي: بمجرَّد إهلاكِهم بالغَرَقِ ومَوتِهم أُدخِلوا نارًا يُعذَّبون بها في قبورهم.

وقال تعالى عن المنافقين: {سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾} [التوبة:١٠١]؛ أي: نُعذِّبُهم مرةً في الدنيا، ومرةً في قبورهم، ثم يُرَدُّونَ إلى عذابٍ عظيمٍ في القيامة.

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ- وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ

مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا»[١]. وقال اللهُ تعالى عن مؤمن آل ياسين: {قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧} [يس:٢٦-٢٧]، تمنَّى من الله أن يُعلِمَ قومَه بحُسْنِ حاله في قبره وتكريمِ اللهِ له بالنعيمِ في قبره والمغفرة.

وقال عن الشُّهَداء: {وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩} [آل عمران:١٦٩]؛ أي: في قبورهم يُنعَّمُون.

وقال النبي ﷺ: «أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنونَ فِي القُبُورِ»[٢].

وقال ﷺ: «إذا قُبِرَ المَيِّتُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: المُنكَرُ، والآخرِ: النَّكِيرُ، فيَقُولَانِ: ما كُنْتَ تقولُ فِي هَذا الرجُلِ؟»[٣].

وقال ﷺ: «إِنَّ لِلقَبْرِ ضَمَّةً لَوْ كَانَ أَحَدُنَا مِنهَا نَاجِيًا، لَنَجَا مِنْهَا

---

[١] أخرجه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

[٢] أخرجه البخاري (٩٢٢، ١٨٤)، ومسلم (٥٨٤).

[٣] الجامع الصغير وزيادته (٧٢٦).

سَعدُ بنُ مُعَاذٍ»[١].

وكان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميِّتِ وقف عليه وقال: «استَغفِرُوا لِأَخِيكُم وَسَلُوا لَهُ التَّثبِيتَ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسأَلُ»[٢].

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: «فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ يُجْلِسَانهِ فَيَقُولَانِ: مَن رَّبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُم؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسولُ اللهِ، فَيَقُولانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، وَآمَنْتُ بِهِ، وَصَدَّقتُهُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ...»[٣].

---

[١] أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣١١٢)، وصححه الألباني في السلسلة (١٦٩٥).

[٢] أخرجه أبو داود (٣٢٢١).

[٣] أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣).

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«والإيمانُ بشَفَاعةِ النبيِّ ﷺ، وبقومٍ يخرُجونَ مِن النارِ بعدَما احتَرَقُوا وصَارُوا فَحْمًا، فيُؤمَرُ بِهِم إلى نهرٍ على بابِ الجَنَّةِ- كما جاء في الأثر- كيفَ شاءَ اللهُ، وكما شاءَ، إنَّمَا هو الإيمانُ به والتصديقُ به»:

الشرح:

الشفاعاتُ في القيامةِ ثابتةٌ بالكتابِ والسُّنة، وإجماعِ أهلِ السُّنة.

ويُشترَط في أيِّ نوعٍ من أنواعِ الشفاعةِ شرطان أساسيانِ، وهما:

١- رضا الله عن الشافعِ والمشفوعِ فيه؛ لقوله سبحانه: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾} [الأنبياء:٢٨].

{وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾} [النجم:٢٦].

٢ - إِذْنُ اللهِ بالشفاعة؛ لقوله تعالى: {مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴿٢٥٥﴾} [البقرة:٢٥٥].

وأصل الشفاعة: التوسطُ للغير لجلب منفعةٍ أو لدفع ضرر.

د- ومن أنواع الشفاعة:

١- **الشفاعة العظمى**: وهي ليست لأحدٍ إلا للنبي محمد ﷺ؛

لفصل القضاء؛ حيث قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ، فَيُؤْتَى مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيُؤْتَى عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأُوتَى، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ: يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ، أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي،

فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ»[١].

٢- الشفاعة في دخول الجنة: وهي أيضًا للنبي محمد ﷺ؛ حيث قال: «يجمَعُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ المُؤمِنونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الجنةُ، فيأتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أبانا، اسْتَفْتِحْ لَنَا. فَيَأْتُونَ محمدًا، فَيَقُومُ، فَيُؤْذَنُ لَهُ»[٢].

وقال: «آتِي يَومَ القِيامَةِ بابَ الجَنَّةِ، فأَسْتَفْتِحُ، فيقولُ الخازنُ: مَن أنتَ؟ فَأَقولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ بِكَ أُمِرتُ ألَّا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»[٣].

٣- شفاعة فيمن استحقَّ النارَ مِن المُوحِّدين: حتى لا يدخلوها، ومَن دخلها يخرُج منها:

وهذه يُنكِرُها الخوارجُ والمعتزلةُ؛ لأنهم يكفِّرون بالكبيرة، ويخلِّدون صاحبَها في النارِ خلودًا أبديًّا كخلودِ الكفارِ والمشركين.

وهذه الشفاعةُ ثابتةٌ بقول النبي ﷺ: «ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ»[٤].

---

[١] أخرجه البخاري (٧٤١٠) ومسلم (١٩٣).

[٢] أخرجه مسلم (١٩٥).

[٣] أخرجه أحمد (١٢٣٩٧).

[٤] أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

وقال النبي ﷺ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»[١].

وقال ﷺ: «**يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انظُرُوا مَن وَجَدتُّمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِن إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ. فيَخرُجُون مِنهَا حُمَمًا قَدْ امْتُحِشوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الحَبَّةُ إِلَى جانبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلتَوِيَةً؟**»[٢].

قال أبو هريرة رضي الله عنه: مَن أسعدُ الناس بشفاعتك يا رسولَ الله؟ قال ﷺ: «**أَسْعَدُ الناسِ بِشَفاعَتِي يَومَ القِيامَةِ مَنْ قَالَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»[٣].

فنخلص مما سبق إلى أن الشفاعاتِ منها المَقَامُ المحمود، وفتحُ بابِ الجنة، ودخولُ الجنةِ لمن استحقَّ النارَ، وإخراجُ بعضِ الموحِّدين من النارِ، ولمن تساوَتْ حسناتُه وسيئاتُه، ولرفع الدرجاتِ لأهل الجنة، والشفاعةُ الخاصةُ لأبي طالب؛ ليكونَ أهونَ أهلِ النارِ عذابًا، وشفاعةُ النبيين والشهداء والصِّدِّيقين والأطفالِ الصغارِ والكبارِ

---

[١] أخرجه أحمد (١٣٢٢٢)، والترمذي (٢٤٣٥).

[٢] أخرجه مسلم (١٨٤).

[٣] أخرجه البخاري (٩٩).

والسِّقْطِ، وكلُّ هذا ثابتٌ في الأحاديثِ الصحيحةِ عن المصطفى ﷺ.

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«والإيمانُ أنَّ المسيحَ الدَّجَّال خارجٌ، مَكْتوبٌ بَيْنَ عَينَيْه: كافرٌ. والأحاديثِ التي جاءَتْ فيه، والإيمانُ بأن ذلك كائنٌ، وأنَّ عيسى بنَ مريمَ يَنزِلُ فيَقتُلُه ببابِ لُدٍّ»:

الشرح:

خروجُ المسيحِ الدَّجَّالِ في آخرِ الزمانِ بفتنتِه التي أخبرَ عنها رسولُ اللهِ ﷺ ثابتٌ بالسُّنةِ الصحيحةِ المتواترةِ عن رسولِ اللهِ ﷺ.

فعن أبي هريرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمِ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ

الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»[(١)].

ولذلك كان النبيُّ ﷺ يستعيذُ من فتنةِ المسيحِ الدجال بعد الفراغ من التشهُّد الأخيرِ من كل صلاةٍ، ويقولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، ومِن عَذابِ القَبْرِ، ومِن فِتْنَةِ المَحْيَا والمَمَاتِ، ومِن شَرِّ فِتْنةِ المَسِيحِ الدَّجَّال**»[(٢)].

ونزولُ عيسى بنِ مريمَ في آخر الزمانِ حَكَمًا عدلًا وإمامًا مُقسِطًا وأنه يقتُلُ الدَّجَّالَ: ثابتٌ أيضًا بنصِّ القرآن والسُّنة الصحيحةِ المتواترةِ عن النبيِّ ﷺ؛ حيث ينزلُ عند المنارةِ البَيضاءِ ببابِ لُدٍّ الشرقيِّ بدمشقَ[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٥٨٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٩٧) من حديث النَّوَّاس بن سَمْعان. وفيه: «**ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ**

قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ

اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«الإيمانُ قولٌ وعَمَلٌ، يزيدُ وينقُصُ، كما جاء في الخبر: «أَكْمَلُ المُؤمنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُم خُلُقًا»:

الشرح:

الإيمانُ قولٌ باللسان، وتصديقٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقصُ بالمعصية، كما قال تعالى: {وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾} [محمد:١٧]، وقال سبحانه: {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾} [الأنفال:٢].

فدلَّ ذلك على أن الإيمانَ يزيدُ بالطاعات.

وقال النبي ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإن لم يستَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لم يستَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»[1]، فدل ذلك على أن الإيمانَ ينقصُ ويضعُفُ؛ لقلةِ الطاعاتِ وارتكاب السيئات.

وقال النبيُّ ﷺ كما ورد في حديث الشفاعة: «**أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ**

---

[1] أخرجه مسلم (٤٩).

مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»[(١)].

والناس يتفاضلون في الإيمان حسَبَ درجاتهم فيه، كما قال تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾} [فاطر:٣٢].

فالظالمُ لنفسه نوعان: الكافرُ، والمسلِمُ العاصي، عصاة الموحدين.

والمُقتصِد هم الأبرارُ أصحابُ اليمين الذين اقتصروا على فعل الخيرات واجتناب المحرمات.

والسابق بالخيرات هم المقرَّبون المجتهدون بالفرائض ونوافل العبادات واجتناب المحارم والمكروهات.

كما قال تعالى: {وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾} [الواقعة:٧-١٢].

وهناك طوائفُ من أهل البدعِ ضلَّتْ في مفهومِ الإيمان:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢).

فالكُلَّابِيَّةُ قالوا: الإيمانُ قولٌ باللسان فقط.

والجَهْمِيَّةُ قالوا: هو المعرفة بالقلبِ فقط.

والأشاعرةُ قالوا: هو اعتقادُ القلب فقط.

وقال الحنفية: هو قول باللسان واعتقاد بالقلب. وأخرجوا الأعمالَ من مسمَّى الإيمان.

وهذا خلافُ نصوصِ الكتابِ والسُّنة.

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«ومَن ترَكَ الصَّلاةَ فقد كفَرَ، وليسَ مِن الأعمالِ شَيءٌ تَرْكُه كفرٌ إلا الصَّلاةَ، مَن تَرَكَها فهو كافرٌ، وقد أحلَّ اللهُ قتلَه»:

الشرح:

تاركُ الصَّلاة إنْ ترَكَها جُحُودًا وإنكارًا لفرضِيَّتِها فهو كافرٌ ومرتدٌّ عن الإسلام، ويُقتَل رِدَّةً، وأما إن تركَهَا كَسَلًا وإهمالًا مع اعتقادِه بوجوبِها، فقد اختلف فيه العلماءُ، والجمهورُ على أنه مسلمٌ عاصٍ، وليس بكافرٍ، وأن إطلاقَ لفظِ الكفرِ في حقِّه من الكفرِ العمليِّ الأصغر الذي لا يُخرِجُ من المِلَّة.

وتجبُ استتابتُه ثلاثةَ أيام، فإن تاب فالحمدُ لله، وإن أصرَّ على تركِ الصلاةِ قُتِلَ حَدًّا لا كُفرًا، ويُغَسَّل ويُصلَّى عليه كغيره مِن المسلمين.

وبعض العلماء يرى أنه كافرٌ كفرًا أكبرَ مُخرِجًا من مِلَّةِ الإسلام؛ لظاهر قولِ النبيِّ ﷺ: «**بينَ الرَّجُلِ والكُفْرِ وَالشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**»[١]، ولقوله ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[٢].

---

[١] أخرجه مسلم (٨٢).

[٢] أخرجه أحمد (٢٢٩٣٧)، والترمذي (٢٦٢١).

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«وخَيرُ هذه الأمَّةِ بعدَ نبيِّها: أبو بكرٍ، ثم عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، ثم عثمانُ بنُ عَفَّانَ، نُقدِّمُ هؤلاءِ الثلاثةَ كما قدَّمَهم أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ، لم يختلفوا في ذلك، ثمَّ بعدَ هؤلاءِ الصحابةِ أصحابُ الشُّورَى الخمسةُ: عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وطلحةُ، والزُّبَيرُ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ، وسعدٍ، كلُّهم يَصلُحُ للخِلافةِ، وكلُّهم إمامٌ.

ونَذهَبُ في ذلك إلى حديثِ ابنِ عمرَ: كنا نعُدُّ ورسولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ، وأصحابُه مُتوافِرون: أبو بكرٍ، ثم عُمَرُ، ثم عثمانُ، ثم نسكُتُ.

ثمَّ مِن بعدِ أصحابِ الشُّورَى: أهلُ بدرٍ مِن المهاجرين، ثم أهلُ بدرٍ مِن الأنصارِ مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ على قَدْرِ الهِجْرةِ السابقةِ أولًا فأولًا.

ثمَّ أفضلُ الناسِ بعدَ هؤلاءِ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ، القرنُ الذي بُعِثَ فيهم، كلُّ مَن صَحِبَه سَنةً، أو شهرًا، أو يومًا، أو ساعةً، أو حتى رآه، فهو مِن أصحابِه، له مِن الصُّحبةِ على قدر ما صَحِبَه، وكانت سابقتُه معه، وسمِعَ منه، ونظر إليه نظرةً، فأدناهم صحبةً هو أفضَلُ مِن القرنِ الذين لم يرَوْه، ولو لقُوا اللهَ بجميعِ الأعمال.

ومَن رآه بعينه، وآمنَ به ولو ساعةً أفضَلُ- لصُحْبتِه- مِن التابعين، ولو عمِلوا كلَّ أعمالِ الخير»:

الشرح:

وذلك لشَرَفِ صُحبةِ النبيِّ ﷺ.

فالصَّحابيُّ هو الذي لقِيَ النبيَّ ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلامِ، سواءٌ طالت صحبتُه ومجالستُه أم قصُرَت، وسواءٌ غزا معه أم لم يغزُ، وسواءٌ روى عنه أو لم يروِ، وسواءٌ كان بصيرًا أو أعمى، وسواءٌ كان صغيرًا مميِّزًا أو كبيرًا، أما مَن لقِيَه كافرًا به، ثم أسلم بعد موته فلا يُسمَّى صحابيًّا.

ومَن لقيَه مؤمنًا به ثم ارتدَّ ومات على الرِّدَّةِ فهو كافر.

ومنهم صبيانُ الصحابةِ المميِّزينَ كمحمودِ بن الربيع الذي نال شرفَ الصُّحبةِ بقوله: عقَلْتُ مِن النبيِّ ﷺ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وجهي وأنا ابنُ خمسِ سنينَ مِن دلوٍ[1].

وكذلك الصِّبيانُ الصِّغارُ غير المميِّزينَ كعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن أبي طلحة الذي حنَّكه رسولُ اللهِ ﷺ بيده، وأبي عميرٍ أخي أنسِ بن مالك، والحسنِ والحسين وغيرِهم.

٢- الصحابةُ الكرامُ عمومًا عدولٌ بتعديلِ اللهِ تعالى لهم وتزكيتِه إياهم في القُرآنِ والسُّنة، وهم يتفاضلون في المنزلة بحسب إيمانِهم

---

[1] أخرجه البخاري (٧٧).

ويقينِهم وسبقِهم وعلمِهم، كما قال الله عنهم: {لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾} [الحديد: ١٠].

فكلُّهم أفاضلُ، وبعضُهم أفضلُ مِن بعضٍ بحسَبِ تفضيلِ اللهِ لهم، وأفضلُهم بإطلاقٍ أبو بكرٍ الصِّدِّيق، ثم عمرُ بن الخطاب، ثم عثمانُ بن عفان، ثم بقيَّةُ العَشَرةِ المبشَّرينَ بالجنةِ، ثم بقيَّةُ الصَّحابةِ على اختلافِ منازِلِهم.

٣- وأمَّا عن فضائل الصحابة فقد أثنى الله عز وجل عليهم في الكتابِ والسُّنةِ بالثناء العَطِر والذِّكرِ الجميلِ، فقال: {وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾} [التوبة: ١٠٠]، وقال الله عز وجل: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ

سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾} [الفتح:٢٩].

وقال النبي ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَو أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذهبًا ما بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم ولا نَصِيفَه»[(١)]، وقال ﷺ: «خَيرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الذينَ يَلونَهُم»[(٢)].

وقال ﷺ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ؛ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي؛ فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي؛ فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي ما يُوعَدُونَ»[(٣)].

وقال ﷺ: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَر»[(٤)].

وقال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكوا بِها، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذ»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٣١).

(٤) أخرجه أحمد (٢٣٢٤٥)، والترمذي (٣٦٦٢)، وصححه الألباني.

(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)،وابن ماجه (٤٢).

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«والسَّمعُ والطاعةُ للأئمَّةِ وأميرِ المُؤمِنِينَ، البَرِّ والفاجِرِ، ومَن وَلِيَ الخِلَافةَ، واجتَمَعَ الناسُ عَلَيهِ، ورَضُوا بِهِ، ومَن عَلِيَهُم بالسَّيْفِ حتَّى صارَ خَلِيفةً وسُمِّيَ أميرَ المُؤمِنِينَ»:

الشرح:

هناك بعضُ الأمور التي يجبُ أن يُنتبَهَ لها:

١- **المقصود بالأئمة هنا**: هم وُلَاةُ الأمورِ من الخلفاء والملوك والرؤساء والأمراء.

٢- **لوليِّ الأمرِ مكانةٌ رفيعةٌ في دينِ المسلمين**، منحَهم اللهُ إياها؛ لأنهم يكونون خَلَفًا للأنبياءِ والرسلِ في حراسةِ الدينِ وسياسةِ الدنيا.

فمَن أكرمَهم أكرمَه الله، ومن أهانَهم أهانَه الله، قال النبيُّ ﷺ: «**مَن أكرَمَ سُلطانَ اللهِ تَعالى فِي الدُّنيَا أكْرَمَه اللهُ يَوْمَ القيامةِ، ومَن أَهَانَ سُلطَانَ اللهِ تَعَالَى في الدنيا أهانَه اللهُ يومَ القِيامَة**»[(١)].

[(١)] أخرجه أحمد (٢٠٤٣٣).

٣- **الحكامُ والأمراءُ فضلٌ من اللهِ تعالى على الناس**؛ لقول اللهِ تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾} [البقرة:٢٥١].

أي: لولا دفعُ اللهِ ظلمَ الظالمِ عن المظلومِ بالحكام والأمراء لفَسَدتِ الأرضُ؛ ولكنَّ اللهَ ذو فضلٍ على العالمين بتوليةِ الملوك والرؤساءِ والحكامِ على الناس، بَرَرةً كانوا أو فُجَّارًا.

٤- **الإمارةُ سُنَّةٌ ربَّانيَّة، وفِطرةٌ خلقيَّة**: فلا يستقيمُ حالُ الناس بدون أميرٍ وإمارة، فبالفطرةِ في كلِّ أطيافِ البشرِ لا بدَّ لهم من كبير يحتكمون إليه، يرعى مصالحَهم، ويحفظ حقوقَهم، ويأخذ على يدِ مُسيئِهم.

قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾} [البقرة:٣٠]؛ قال القرطبي: هذه الآيةُ أصلٌ في نصبِ إمامٍ وخليفةٍ يُسمَع له ويُطاع؛ لتجتمِعَ به الكلمةُ، وتنفُذَ به أحكامُ الخليفة، ولا خلافَ في وجوبِ ذلك بين الأمةِ ولا بين الأئمةِ، إلا ما يُروَى عن الأصمِّ؛ فإنه كان عن الشريعة أصمَّ، وكذلك كلُّ مَن قال بقوله، واتَّبعَه على رأيِه ومذهبه[١].

---

[١] انظر: تفسير القرطبي (١/ ٢٦٤) (٥/ ٢٥٨).

وهو أبو بكر عبدُ الرحمن بنُ كَيْسانَ الأصمُّ، من كبارِ المعتزلة، وكذلك النجداتُ من الخوارج، والفوطي المعتزلي.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ: ولايةُ أمرِ الناس من أعظمِ واجباتِ الدِّين؛ بل لا قيامَ للدِّين إلا بها، فإنَّ بَني آدمَ لا تتمُّ مصلحَتُهم إلا بالاجتماعِ، ولا بدَّ لهم عند الاجتماع من رأس[1].

ولأهميةِ شأنِ الإمامةِ وضَعَها العلماءُ في كتبِ العقيدة.

قال النبيُّ ﷺ: «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ**». قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**»[2].

وقال تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴿٥٩﴾} [النساء:٥٩]؛ والأمرُ بوجوبِ طاعة ولاة الأمور دليلٌ على وجوبِ تنصيبِ ولاة الأمور.

قال تعالى: {فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ} [المائدة:٤٨]، وقال تعالى: {وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٩٠).

[2] أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ } [المائدة:٤٩]: ولا يمكنُ إقامةُ حكمِ الله في الناس إلا بإمامةٍ، والخطابُ للرسول ﷺ خطابٌ للأمةِ والأئمةِ من بعدِه.

وقال تعالى: {لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥} [الحديد:٢٥]: فمُهِمَّةُ الرُّسُلِ وأتباعِ الرُّسُلِ إقامةُ العدلِ بين الناسِ بالكتابِ المُنَزَّلِ والقوةِ التي تحميه، ولا يكونُ ذلك إلا بتنصيبِ الأمراءِ والحكَّام.

جميعُ الآياتِ الواردةِ بإقامةِ الحدودِ، والقِصاصِ، والعقوباتِ الرادعةِ للفردِ والمجتمعِ، والأمرِ بالمعروفِ، والنهيِ عن المنكرِ، والجهادِ في سبيلِ اللهِ بالدفعِ أو بالطلبِ، كلُّها دالةٌ على وجوبِ تنصيبِ خليفةٍ بإقامةِ إمامةٍ شرعيةٍ وقيادةٍ عامةٍ تديرُ شؤونَ الأمةِ.

وقال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً**

جَاهِلِيَّةً»[١]؛ أي: بيعةٌ للإمامِ الحاكمِ، فدلَّ على وجوبِ نصبِ الإمامِ الحاكم.

وقال ﷺ: «الإِمَامُ جُنَّةٌ، يُتَّقَى بِهِ وَيُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ»[٢]؛ دل ذلك على أنه لا بدَّ مِن وجودِ إمامٍ تتحصَّنُ به الرعيةُ، وتقاتِلُ عدُوَّها مِن وَرَائِه وتحتَ قيادتِهِ.

وقال ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ»[٣]، وقال ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِثَلَاثَةٍ يَكُونُونَ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا أَمَّرُوا أَحَدَهُمْ»[٤].

أَحَدَهُمْ»[٤].

فإذا كانت الإمارةُ في السفر واجبةً في أقلِّ الجماعاتِ، فهيَ من بابِ أَوْلى في إقامة الدِّينِ وسياسةِ الدنيا.

وقد دلَّت السُّنةُ الفِعليَّةُ على وجوبِ تأميرِ خليفةٍ أو أميرٍ على الناسِ، ومن ذلك:

- كان رسولُ الله ﷺ في زمنه هو الخليفةَ الذي يقيمُ الدينَ ويسوسُ الدنيا.

---

[١] أخرجه مسلم (١٨٥١).

[٢] أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٤١).

[٣] أخرجه ابو داود (٢٦٠٨).

[٤] أخرجه أحمد (٦٦٤٧)، والطبراني في المعجم (١٣٩).

- وبعدَ وفاتِه ﷺ وقبلَ دفنِه اختارَ أصحابُه خليفةً؛ وهو أبو بكرٍ الصديقُ، ومِن بعده عمرُ، ثم عثمانُ ثم عليٌّ... إلخ.

فأقاموا القضاءَ والجيوشَ والمعاهداتِ مع غيرِ المسلمين، وأقاموا الحدودَ والقِصاصَ وجميعَ الشؤونِ الإداريةِ والسياسيةِ والاقتصاديةِ... إلخ[1].

ما لا يتمُّ الواجبُ إلا به فهو واجبٌ:

فاللهُ جلَّ وعلا أمَرَنا بأوامرَ ليس في مقدورِ آحادِ الناسِ القيامُ بها، مثلُ إقامةِ الحدودِ والقصاصِ وعقوبةِ الجُناة، والجهادِ، وتجهيزِ الجيوش التي تقومُ لإعلاءِ كلمةِ اللهِ ونشرِ الإسلام، وجبايةِ الزكاةِ وصرفها في مصارفِها، وسدِّ الثُّغور، وحفظِ حَوْزةِ المسلمين، ونشرِ العدل ودفعِ الظلم، والقضاءِ بين الناس، وفصلِ المنازعات وتنفيذِ الأحكام، ولإقامة كلِّ هذا وغيرِه لا بدَّ من نَصْبِ إمامٍ يُسمَعُ له ويُطاع، ويكونُ مسؤولًا عن تدبيرِ شؤونِ الأمة، ولذلك قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: لا بدَّ للناسِ من إمارةٍ، بَرَّةً كانت أو فاجرةً. قالوا: يا أميرَ المؤمنين، هذه البَرَّةُ قد عرَفْناها، فما بالُ الفاجرة؟ قال: يقامُ بها الحدودُ، وتأمَنُ بها السُّبُل، ويُجاهَدُ بها العدُوُّ، ويقسَّمُ بها

---

[1] انظر: «الحِسبة» لابن تيمية (ص ١١).

الفَيْءُ[١].

لولا السلطانُ لصار الناسُ فوضى، ولأكل بعضُهم بعضًا.

فلا بدَّ مِن حمايةِ الضروراتِ الستةِ: النفسِ، والعِرضِ، والمالِ، والعقلِ، والدينِ، والنسلِ، ولا بد من إقامةِ إمامٍ لحمايتها، قال عبدُ الله بن المبارك رَحِمهُ الله:

إِنَّ الجَمَاعَةَ حَبْلُ اللهِ فَاعْتَصِمُوا * مِنْهُ بِعُرْوَتِهِ الوُثْقَى لِمَن دَانَا

كَمْ يَدْفَعُ اللهُ بِالسُّلْطَانِ مَظْلَمَةً * فِي دِينِنَا رَحمَةً مِنْهُ ودُنْيانَا

لَوْلَا الخَلِيفَةُ لَمْ تَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ * وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْبًا لِأَقْوَانَا[٢]

المُلْكُ والإمارةُ والرئاسةُ يجعَلُها اللهُ فيمَن يشاءُ مِن خَلْقِه:

قال تعالى: {قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾} [آل عمران:٢٦]، فالحاكمُ لا يَصِل إلى الحُكْمِ إلا بمشيئةِ اللهِ تعالى.

وقال سبحانه وتعالى: {وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ} [يوسف:٢١]، فالذي

---

[١] السياسة الشرعية لابن تيمية (١/ ٨٧)، ومنهاج السنة النبوية (١/ ١٤٦).

[٢] بدائع السلك في طبائع الملك (١/ ١٠٨).

مَكَّنَ له وأمَّرَه هو الله، وقال أيضًا: {وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾} [البقرة:٢٤٧]، وقال: {وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴿٢٥١﴾} [البقرة:٢٥١].

وقال يوسف: {رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴿١٠١﴾} [يوسف:١٠١].

وقد أمرَ اللهُ تعالى بِطاعةِ وُلاةِ الأمورِ في غيرِ معصيةٍ، فقال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴿٥٩﴾} [النساء:٥٩]، فجعل طاعةَ اللهِ ورسولِه طاعةً مطلقةً، وطاعةَ ولاةِ الأمورِ مقيَّدةً بطاعةِ الله تعالى، فإن أَمَروا بمعصيةٍ فَلا سمعَ ولا طاعةَ، ولا ننزِع يدًا مِن طاعةٍ؛ أي: نسمَعُ ونطيعُ لهم في طاعةِ اللهِ، فإن أَمَرُونا بمعصيتِه فلا تجوزُ طاعتُهم في معصيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ولا يجوزُ الخروجُ عليهم، أو نقضُ بَيْعتِهم، أو إثارةُ الناسِ عليهِم، والنبيُّ ﷺ قال: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ**»[(١)].

وقصَّة هذا الحديث أن النبيَّ ﷺ بعث سريةً، وأمَّرَ عليهم أميرًا،

[(١)] أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

وأمرهم بطاعته، فكان فيما أمرهم به أميرُهم أن يجمَعوا حطبًا ويشعلوا فيه النارَ، ثم أمرهم أن يُلقوا بأنفسِهم في هذه النار، فامتنعوا حتى يَسألوا رسولَ اللهِ ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ**»(٢).

وعن حُذَيفةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ**». قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**»(٣).

وإن جارَ الحاكمُ وظلمَ فالواجبُ الصبرُ على جَوْرِه، مع نصحه لمن أمكنه ذلك بغير **مضرَّة** تعود عليه، قال النبي ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

والأَثَرةُ هي الانفرادُ بالشيءِ عمَّن له حقٌّ فيه، فإذا استأثرَ الحكامُ بالدنيا دون الرَّعيَّةِ فعلى الرَّعيَّةِ الصبرُ، فليس وراءَ الصبر إلا الفرجُ، قال تعالى: {وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾} [البقرة:١٥٥]، وقال: {إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾} [الزمر:١٠]، فليس هناك حاكمٌ أظلمُ ولا أكفرُ من فرعونَ الذي قال للناس: {أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾} [النازعات:٢٤]، قال: {مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴿٣٨﴾} [القصص:٣٨]، صبر موسى عليه السلام ومَن معَه على ظُلمِه، فدمَّر اللهُ فرعونَ وجنودَه، وأخلفَ على بني إسرائيلَ بالخير، قال تعالى: {وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾} [الأعراف:١٣٧].

ولذلك قال الحسنُ البصري: «والله لو أن الناسَ إذا ابتُلوا من قِبَلِ سُلطانِهم صبروا ما لَبِثوا أن يرفَعَ اللهُ ذلك عنهم»[(١)].

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[(٢)]؛ أي: كموتِ أهل الجاهليَّة على ضلالٍ، وليس له إمامٌ مطاع.

---

(١) الشريعة للآجري (١/ ٣٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٣).

ومعنى «فارقَ الجماعةَ»؛ أي: سعى في حلِّ عَقدِ البيعةِ للحاكمِ ولو بأدنى شيءٍ، وكَنَّى عنها بمقدار الشِّبر؛ لأن الأخذَ في ذلك يؤول إلى سفكِ الدِّماءِ بغيرِ حق[١].

وقال ﷺ: «**سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ**»[٢].

وقال ﷺ: «**يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ**». قَالَ : قُلْتُ : كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**»[٣].

وفي هذه الأحاديث السمعُ والطاعةُ وإن كان الحاكمُ ظالمًا، فيُعطَى حقَّه من السمعِ والطاعةِ، ولا يُخرَجُ عليه، ولا يُخلَعُ؛ بل يُتضرَّعُ إلى الله في كشفِ أذاه ودفع شرِّه وإصلاحِه[٤].

---

[١] فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٣).

[٢] أخرجه البخاري (٣٦٠٣).

[٣] سبق تخريجه.

[٤] شرح مسلم للنووي (١٢/ ٢٣٢).

ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»[(١)].

أمَّا عن طرق انعقاد البيعةِ للحاكم:

فإنه لا يوجد نصٌّ صريحٌ في الكتاب والسُّنة في طريقِ تعيينِ الحاكم، وإنما الواردُ ما ورد عن الصحابة الكرام والخلفاء الراشدين، وقد أمَرَنا النبي ﷺ بالتمسُّكِ بما كان عليه الخلفاءُ الراشدون، فقال: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ**»، وقال: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِن بَعدِي: أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ**».

والذي فعله الصحابة في هذا الشأن هو أحد الأمرين:

الأول: انعقادُ البَيعةِ للخليفة مِن أهلِ الحَلِّ والعَقْد من العلماء والأمراءِ ورجالِ السياسةِ وأُمَراءِ الأجنادِ، كما حصل في اختيارِ أبي بكرٍ رضي الله عنه.

[(١)] أخرجه مسلم (١٨٥٥).

الثاني: انعقادُها بالاستخلاف، كما استخلف أبو بكرٍ عمرَ رضي الله عنهما مِن بعدِه، وانعقدت البَيعةُ لعمرَ رضي الله عنه على ذلك من أكابر الصحابة الكرامِ.

وهناك طريقٌ ثالث؛ وهو: مَن وَلِيَ الخلافةَ بالغَلَبةِ والقهرِ، وأخضع الناسَ لإمارته، فإنه يكونُ أميرًا؛ له البَيعةُ والسَّمعُ والطاعةُ، كما حصل من عبد الملك بن مروان بن الحَكَم لما حصل الاختلافُ بعد وفاةِ يزيد بن معاوية، فقام عبد الملك بالأمر وانعقدت بيعته، وسمع المسلمون له وأطاعوا، وهذا بإجماعِ أهل السُّنة.

فمَن وَلِيَ الخلافةَ واجتمع الناسُ عليه، ورضوا به- سواءٌ كان ذلك بالشورى، أو الاستخلافِ، أو الغَلَبة- فهو الحاكمُ الذي تجبُ طاعتُه، ويحرُمُ الخروجُ عليه ومخالفته[1].

ويحرُمُ الخروجُ على الحاكِمِ الجائر: سواءٌ كان خروجًا بالكلمة، وإثارة الناس وتهييجِهم عليه، أو كان خروجًا بالسيف؛ لِمَا صحَّ عن النبيِّ ﷺ في حُرمةِ الخروج عليهم، والأمرِ بالصبر على جورِهم حتى نلقاه على الحوض.

---

[1] معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة لابن برجس (ص٢٠).

لِما يكونُ في الخروج من الفتنِ والبلاءِ وسفكِ الدماء، وحرقِ المنشآت، وضياع الأموالِ، وهتك الأعراض، وضياع نعمةِ الأمن والأمان، وشيوعِ الفوضى في البلادِ، وخروج الأفاعي من جحورها.

وهذا بإجماع أهل السُّنة والجماعة.

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«والغزوُ ماضٍ مع الأمراءِ إلى يومِ القيامةِ، البَرِّ والفاجِرِ، لا يُترَك»:

الشرح:

مِن شروط الجهاد الشرعي:

أن يكونَ تحت راية وليِّ الأمر، فهو جهادٌ منظَّمٌ من قِبَل سلطات الدولةِ، لا جهادُ عصاباتٍ وأفرادٍ، فليس هذا جهادًا، فلكي يكونَ جهادًا صحيحًا يجبُ أن يكونَ تحت رايةٍ وقيادةٍ وإذن ولاة الأمور.

ومنها: أن تكونَ كلمةُ الله هي العليا.

ومنها: أن تكونَ هناك القدرةُ عليه، قال النبي ﷺ: «**الإِمَامُ جُنَّةٌ يُتَّقَى بِهِ وَيُقَاتَلُ مِن وَرَائِهِ**»[1]؛ أي: الإمامُ سُترةٌ ووقايةٌ؛ لأنه يمنع العدُوَّ من أذى المسلمين، ويمنعُ الناسَ من أذى بعضِهم البعضَ.

---

[1] سبق تخريجه.

وقوله: «**يَقَاتَلُ مِن وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ**»؛ أي: يقاتِل معه المسلمون الكفارَ والبُغاةَ وسائرَ أهلِ الفساد، ويُحتَمَى بِهِ وَيُتقَوَّى به، ويُرجَع إليه في الرأيِ والتدبيرِ.

وفي هذا الحديث دلالةٌ على أن الجهادَ وقتالَ الأعداءِ لا بد أن يكونَ خلفَ وليِّ الأمر.

ولذلك قال اللهُ تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾} [التوبة:٣٨]، فالذي يستَنفِر الناسَ للقتال هو الإمامُ وليُّ الأمر، ولذا قال رسول الله ﷺ: «**وإِذَا استُنْفِرتُم فَانْفِرُوا**»[1]؛ أي: إذا استَنْفَرَكم الإمامُ للجهاد وقتالِ الأعداءِ فانفِروا تحتِ لوائه، سواءٌ كان بَرًّا أم فاجِرًا، وسواءٌ أ كان الجهادُ فرضَ عَينٍ أم على الكفاية، وسواءٌ كان جهادَ طلبٍ أو دفعٍ.

وفي ذلك ردٌّ على الخوارجِ الذين يَرَونَ الخروجَ على ولاةِ الأمور.

وكذلك فيه ردٌّ على الروافضِ الذين يقولون: لا جهادَ حتى يخرُجَ الإمامُ المهديُّ المعصومُ المنتظرُ محمدُ بن الحسن العسكري الذي

---

[1] أخرجه البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣).

دخل السردابَ، وينتظرون خروجَه منذ سنة (٢٦٠ هـ).

وقوله رحمه الله: «**والغزوُ ماضٍ مع الأمراءِ إلى يومِ القيامةِ، البَرِّ والفاجِرِ، لا يُترَك**»؛ لأن الغزوَ والجهادَ دومًا يحتاج إلى سفرٍ وعُدَّة وعتادٍ وخطةٍ كبيرةٍ ومنظَّمةٍ، ولا بد لذلك كلِّه من قائدٍ يسوسُ الناسَ ويقاومُ العدو، فالحربُ خدعةٌ، وهذا المعنى يحصُلُ بالإمامِ البر والفاجر كذلك.

وقد مرَّ الجهادُ في الإسلامِ بأربعِ مراحلَ:

المرحلة الأولى: النهيُ عنه؛ لأن المسلمين كانوا قلةً مستضعفين، لا دولةَ لهم ولا قوةَ، ولا قدرةَ، {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۝٧٧} [النساء:٧٧].

المرحلة الثانية: الإذنُ فيه بدون أمرٍ به، بعد الهجرةِ وقيام الدولةِ بالمدينةِ، فكان ذلك تهيئةً للأمرِ به وتسهيلِه على النفوس، قال الله تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩} [الحج:٣٩].

المرحلة الثالثة: الأمرُ بقتالِ مَن قاتلَ من المعتدين، والكفُّ عمَّن لم يقاتلْ، قال تعالى: {وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝١٩٠} [البقرة:١٩٠].

المرحلة الرابعة: الأمرُ بالقتال مطلقًا، بعد أن قَوِيَ المسلمون وصارت لهم دولةٌ وشَوكةٌ، {فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥} [التوبة:٥] {وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣٩} [الأنفال:٣٩].

قال **الإمامُ أحمد** رحمه الله:

«قِسمةُ الفَيْءِ، وإقامةُ الحُدُودِ مع الأئمَّةِ ماضٍ، ليسَ لأحدٍ أنْ يطعُنَ عَلَيهِم، ولا يُنازِعَهُم»:

الشرح:

الفَيْءُ: ما حصل عليه المسلمون من أموال الكفار بدون قتال.

والغَنيمة: ما حصلوا عليه من أموال الكفار بالقتال.

والذي يَقسِم الفَيءَ والغَنيمة هو الحاكمُ أو مَن ينوبُ عنه، كما كان النبيُّ ﷺ هو الذي يتولى بنفسه قسمةَ الغنائم والفَيء أو يُنيب عنه مَن يقوم بذلك، كما جرى في بدرٍ وحُنَينٍ ونحوهما.

وكذلك إقامةُ الحدودِ والقِصاص والعقوبات التعزيرية الأخرى

فهي من سلطاتِ السلطان ونُوَّابه، ولا يجوز لأحدٍ من الرعية أن يتولَّى ذلك من تلقاء نفسِه، أو يُنصِّبَ نَفْسَه لذلك بدون إذن وليِّ الأمر، وقد تواترت أدلةُ الكتاب والسُّنة على ذلك.

كما جرى في حديث صفوانَ بنِ أميةَ في قطع يدِ السارق، وإقامةِ حدِّ الرَّجمِ على الزانية والجَلد على العَسيف الجاني، وماعز، والغامدية، وحدِّ الحِرابة بقطع الأيدي والأرجلِ من خلافٍ وجلدِ الشاب وضربه والقِصاص وكذلك تقديرُ الدِّيَات وغير ذلك من الأحكام.

فكلُّ ذلك من سلطات وليِّ الأمر ومَن يُنيبهم من القضاة والشرط ورجال الحِسْبة.

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«ودفعُ الصَّدَقاتِ إليهم جائزةٌ نافذةٌ، مَن دفَعَها إليهم أجزَأَتْ عنه، برًّا كانَ أو فاجرًا»:

الشرح:

الصَّدَقاتُ والزَّكَواتُ يجوز للمسلم دفعُها لولاةِ الأمور ونُوَّابِهم، وهم يوزعونها؛ لقولِ الله تعالى مخاطبًا رسولَ اللهِ ﷺ بصفته رئيسَ الأمة الإسلامية: {خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾} [التوبة:١٠٣].

وهذا خطابٌ لكل رؤساء الأمَّة، بارِّينَ كانوا أو فاجِرين.

ويجوزُ للمسلم أن يخرجَ زكاته وصدقتَه لمن شاء مِن خلق الله بدون إرسالها لوليِّ الأمر، فالأمرُ واسِعٌ، يجوزُ له هذا وذاك، على ما جرَتْ به سنةُ رسول الله ﷺ.

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«وَصَلَاةُ الجُمُعَةِ خَلْفَه وَخلْفَ مَن وَلَّاهُ جَائِزَةٌ بَاقِيَةٌ تَامَّةٌ رَكْعَتَيْنِ، مَن أعَادَهُمَا فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، تَارِكٌ للآثارِ، مُخَالِفٌ للسُّنَّةِ، لَيْسَ لَهُ مِن فَضْلِ الجُمُعَة شَيْءٌ إذا لم يَرَ الصَّلَاةَ خَلْفَ الأئِمَّةِ- مَن كَانُوا- بَرِّهِم وفاجِرِهِم، فَالسُّنَّةُ بأنْ يُصَلِّيَ مَعَهُم رَكْعَتَيْنِ، وَيَدِينَ بِأَنَّهَا تَامَّةٌ، لَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ مِن ذَلِكَ شَكٌّ»:

الشرح:

الأصلُ أنَّ كلَّ مَن صحَّت صلاتُه لنفسِه، صحَّت لغيرِه.

فالمسلمُ الصالحُ أو العاصي إنْ صلَّى صلاةً صحيحةً متكاملةَ الشروطِ والأركانِ فصلاتُه صحيحةٌ مقبولةٌ عند اللهِ تعالى، سواء كان حاكمًا أو محكومًا، إمامًا أو مأمومًا.

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ المُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ**»[1].

نُصَلي خلفَ كلِّ أميرٍ مسلمٍ وخلفَ مَن يُنِيبُه للجمعةِ والجماعةِ، قال النبيُّ ﷺ: «**يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَلَهُمْ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا**

---

[1] أخرجه البخاري (٣٩١).

فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»[١].

والأصلُ في المسلمِ العدالةُ، نصلي خلفَ كلِّ مسلم، ولا يجوزُ لنا أن نسألَ عن عقيدتِه، ولا أن نَمتحِنَه؛ لنعلمَ عقيدتَه، ولو كان مبتدعًا أو مُتَلبِّسًا ببدعةٍ أو معصيةٍ نصلي كذلك خلفَه، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَلَهُمْ، وَإِنْ أَخْطَأُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»، واللهُ تعالى لم يأمُرْنا أن نُنقِّبَ عن قلوبِ الناس.

وقد كان الصحابةُ الكرامُ العلماءُ الفقهاءُ الأفذاذُ كعبد الله بن عمر وأنس بن مالك وغيرهم يصلون خلفَ كل أميرٍ وإمامٍ، بَرًّا كان أو فاجرًا، فصَلَّوا خلفَ الحجَّاج بنِ يوسُفَ، وخلفَ الوليدِ بن عقبةَ بن أبي معيطٍ، وكان معروفًا بشُربِ الخمر.

ولما حاصرتِ الخوارجُ عثمانَ بنَ عفان خليفةَ المسلمين في بيته، وتقدَّم أحدُهم وصلى بالناس في مسجدِ الرسول ﷺ، فسأل بعضُ الناس عثمانَ بنَ عفانَ عن الصلاة خلفَ الخوارجِ، وقالوا: إنك إمامُ عامةٍ، وهذا الذي صلى بالناس إمامُ فتنةٍ؟

فقال للسائل: يا أخي، إن الصَّلاةَ مِن أحسنِ ما يعمَلُ الناسُ، فإذا

---

[١] أخرجه أحمد (٨٦٦٣).

أحسَنوا فأَحْسِنْ معَهم، وإذا أساؤوا فاجتَنِب إساءَتَهم[١].

وقد تولى على مرِّ الزمان أمراء منهم الصالحُ، ومنهم الطالحُ، وقد كان السلفُ يصلون خلفَ جميعِهم، فقد كان الإمامُ أحمدُ يصلي خلفَ الخلفاءِ وأمرائِهم وهم على منهجٍ ومعتقَدِ المعتزِلة.

ومَن تركَ الجمعةَ والجماعةَ خلفَ الأمراءِ ونوَّابِهم فهو صاحبُ بدعة[٢].

والحكمةُ من عدم تركِ الصَّلاة خلف الإمام الفاجر أو الفاسق أو المبتدع أنَّ تركَ الصلاةِ خلفَه يُفضِي إلى النزاعِ، والشقاقِ، وافتراقِ المسلمين، واختلافِ كلمتِهم، وحدوثِ الفتن، والإسلامُ يدعو إلى الاعتصامِ والأُلفةِ وجمعِ الكَلِمة[٣].

قال تعالى: {وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢} [الروم:٣١-٣٢].

---

[١] حكم إمامة وأذان المجاهر بالمعصية (١/ ٢٥).

[٢] انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٦٦) وما بعدها.

[٣] شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (ص٣٧٣).

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«وَمَن خرَجَ على إِمَامٍ مِن أَئِمَّةِ المُسلِمِينَ وَقَدْ كَانُوا اجْتَمعُوا عَلَيْهِ وأَقَرُّوا بالخِلَافةِ بِأيِّ وَجهٍ كَانَ بِالرِّضَا أَو الغَلَبَة فقد شَقَّ هَذَا الْخَارِجُ عَصَا المُسلِمِينَ، وَخَالَفَ الآثَارَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِن مَاتَ الْخَارِجُ عَلَيْهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً.

وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِ لأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ فعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ على غَيْرِ السُّنَّةِ وَالطَّرِيقِ»:

الشرح:

الإمام أحمدُ رحمه الله عاش في زمن المحنة، وتوالى عليه ثلاثةٌ من الخلفاء على منهج المعتزلةِ المبتدعين الضالِّين، وسجنوه، وجلدوه، وأهانوه، ومنعوه من التدريس والخطابة، والتحديث، ومنعوه من الصَّلاة في المسجد، ومع ذلك كان يدعو لهم بصلاحِ الحال، ويحرِّمُ الخروجَ عليهم، ويقول بأنَّ مَن خرج عليهم بالكلمةِ أو بالسيفِ فهو خارجيٌّ، قد شقَّ عصا المسلمين، مخالفٌ للسُّنة، وإن مات على ذلك مات ميتةً جاهليةً، وهكذا أهلُ الحقِّ، لا يَعنيهِم إلا اتِّباعُ الحقِّ الثابتِ بالكتابِ والسُّنة.

فإن النبيَّ ﷺ حرَّم الخروجَ على ولاةِ الأمورِ بأي وسيلةٍ كانت، ففي حديث حذيفةَ سالفِ الذِّكرِ لمَّا أخبر بأنه سيكونُ أئمةٌ لا

يهتدون بهداه ﷺ ولا يَسْتَنُّون بسُنَّته، قلوبُهُم قلوبُ الشياطين، فسأله حذيفةُ: كيف أصنع مع هؤلاء؟ قال له ﷺ: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**»[(١)].

وقال ﷺ: «**شِرارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**»، فقال الصحابة: أفَلا نُنابِذُهُم بالسَّيفِ؟ قال ﷺ: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**إِنَّكُم سَتَرَونَ بَعدَي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرونَهَا**»، فقالوا: فَمَا تأمُرُنا؟ قال ﷺ: «**أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُم**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**اصْبِرُوا حَتَّي تَلْقَوْنِي عَلَي الحَوْضِ**»[(٤)].

ولا يَرى الخروجَ على الحاكمِ الفاسِقِ ووجوبَه إلا الخوارجُ المعتزلةُ، ومَن تَأَثَّرَ بضلالهم.

ولا يجوزُ الخروجُ إلا على الحاكمِ الكافرِ الذي أتى بكفرٍ بَواحٍ عندنا مِن الله فيه برهانٌ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (٣١٦٣)، ومسلم (١٠٦١).

ويُشترَط للخروجِ عليه ما يلي:

١- أن يَظهَرَ منه كفرٌ بواحٌ مجمَعٌ عليه عند العلماء.

٢- القدرةُ الكافيةُ لإزالتِه والإتيانِ بالبديلِ الصالح.

٣- ألَّا يترتَّبَ على ذلك مفسدةٌ أعظمُ أو فتنةٌ تعُمُّ البلادَ والعِبادَ.

والخوارجُ مشهورون بتكفيرِ الحكام وإيجابِ الخروجِ عليهم، ولذا سُمُّوا بالخوارج، وأما المعتزلةُ فلهم أصولٌ خمسةٌ، وهي:

١- **التوحيد**: بمعنى نفي الصفات عن الله تعالى، ويرون أنَّ مَن أثبَتَها لله على الوجه الذي يليقُ به سبحانه وتعالى فهو مشرك.

٢- **العدل**: بمعنى نفي القدرة؛ لأن إثباتَها عندهم جورٌ وظلمٌ، ويجب على الله العدل.

٣- **المنزلةُ بين المنزلتَينِ**: بمعنى أن أصحابَ الكبائرِ من المسلمين لا هم مسلمون ولا كفَّارٌ؛ ولكنهم مخلَّدون في النار، كالمشركين والكفار.

٤- **الوعدُ والوعيدُ**: بمعنى إنفاذِ الوعيدِ وجوبًا في مرتكِبِ الكبيرةِ وخلوده في النار.

٥ - **الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر**، ومن جملته الخروجُ على حكامِ المسلمين العُصاةِ أو الظالمين.

ولذا قال الإمام أحمد ما قاله ردًّا على الخوارج والمعتزلة ومَن نَحا

نحوَهم ممَّن ينتسبُ إلى السُّنة.

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«وقِتالُ اللُّصُوصِ والخَوَارِجِ جائزٌ إذَا عَرَضُوا للرَّجُلِ فِي نَفْسِه ومالِهِ، فله أن يُقاتِلَ عن نَفْسِه ومَالِهِ، ويَدفَعَ عَنْهَا بكُلِّ مَا يَقدِرُ، وليسَ له إذَا فَارَقُوهُ أو تَرَكُوه أن يَطلُبَهُم، ولا يَتَّبِعَ آثارَهُم، ليسَ لأحدٍ إلا الإمامُ أو وُلاةُ المسلمين، إنَّمَا له أنْ يَدفَعَ عن نَفْسِه فِي مَقامِه ذلك، وينويَ بجهدِه ألَّا يَقتُلَ أحَدًا، فإنْ ماتَ على يَدَيْه فِي دَفْعِه عن نَفْسِه فِي المَعْركةِ، فأبعَدَ اللهُ المقتولَ، وإنْ قُتِل هذا في تلكَ الحالِ وهو يَدفَعُ عن نَفْسِه ومالِهِ رَجَوْتُ له الشَّهادةَ كما جاءَ في الأحاديثِ.

وجميعُ الآثارُ في هذا إنَّمَا أمَرَ بقتالِهِ، ولم يأمُرْ بقتلِهِ ولا اتِّباعِهِ، ولا يُجهِزُ عَلَيهِ إن صُرِعَ، أو كان جريحًا.

وإنْ أخَذَه أسيرًا فليسَ له أنْ يَقتُلَه، ولا يُقِيمُ عليه الحَدَّ؛ ولكنْ يَرفَعُ أَمْرَه إلى مَن وَلَّاهُ اللهُ، فيَحكُمُ فِيه»:

الشرح:

١- اللصوص صِنفان:

الأول: اللصُّ الصائلُ الذي يريد أن يسرقَ المالَ من البيت أو الثوبِ ونحوه، وهذا حكمُه ما أورده مسلمٌ في صحيحِه:

جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، أرأيتَ إن جاء رجلٌ يريدُ أخذَ مالي؟ قال ﷺ: «**فَلَا تُعطِهِ مَالِكَ**».

قال: أرأيتَ إن قاتَلَني؟ أي: ضربني ودفعني، قال: «**قَاتِلْهُ**».

قال: أرأيتَ إن قَتَلني؟ قال ﷺ: «**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**».

قال: أرأيتَ إن قتلتُه؟ قال ﷺ: «**هُوَ فِي النَّارِ**»[(١)].

ويستفاد من هذا الحديث: أن اللصَّ الذي يريد سرقةَ المال لا يُسَلَّمُ المالُ له؛ بل يجبُ على صاحبِ المال الدفاعُ عن نَفْسِه ومالِه، ولو بالضرب والمدافعة، فإن اشتد الأمرُ، وقَتَلَ صاحبَ المالِ فهو شهيدٌ؛ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»[(٢)].

وإن قُتِل اللصُّ الصائلُ فهو في النارِ كما أخبر النبي ﷺ.

ويجبُ دفعُ الصائلِ، وإذا لم يندفعْ شرُّه إلا بالقتلِ قُتِلَ، وهذا بإجماعِ العلماءِ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وأجمَعوا على أنَّ مَن شَهَرَ على آخَرَ سِلاحًا لِيَقْتُلَه، فدفع عن نَفْسِه فقَتَلَ الشاهرَ فإنه لا

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٥٢)، والترمذي (١٤٢١).

شيءَ عليه[١].

الثاني: اللصوصُ قُطَّاعُ الطريق، المُحاربين، المُروِّعين للآمنين:

وهؤلاء إن قَدَرَ أفرادُ الناس وجماعاتُهم عليهم لدفعِهم عن الشرِّ أو قتلِهم جاز لهم ذلك، وإلا فمسؤوليةُ وليِّ الأمرِ دفعُهُم أو القضاءُ عليهم؛ ولو بالقتل؛ لقول الله تعالى: {إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣} [المائدة:٣٣].

والخوارج هم الذين يرَوْن الخروجَ على الحاكم الظالم، ويستحِلُّون الدماءَ والأموالَ ونحو ذلك.

والخروجُ على الحاكم يكونُ بالقول؛ كما خرج ذو الخُوَيْصِرةِ التميميُّ على رسولِ الله ﷺ بقوله: اعدِلْ يا محمدُ، إن هذه القسمةَ ما أُرِيدَ بها وجهُ الله!

وهذا سوءُ أدبٍ مع وليِّ الأمر، ووسيلةٌ لإثارة الناسِ عليه، فقال النبي ﷺ: «**إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»،

---

[١] فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٢٢٢).

وَأَظُنُّهُ قَالَ: «**لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ**»[١].

والخروجُ يكون بالفعل، وهو حملُ السلاح؛ أي: الخروجُ المسلَّحُ على وليِّ الأمرِ وعَلَى الدَّولةِ، فإذا خرَجَت الخوارجُ بالسلاحِ على وليِّ الأمرِ وجبَ قتالُهُم؛ لكسرِ شَوْكَتِهم ودرءِ شرِّهِم؛ لأمر النبيِّ ﷺ بذلك.

ومَن قُتِل على يدِ الخوارجِ فهو خيرُ قتيلٍ تحتَ أديمِ السماء، ومن قُتِل مِن الخوارجِ فهو شرُّ قتيلٍ تحتَ أديمِ السماء.

ولا إثمَ ولا ضمانَ ولا كفَّارةَ على مَن قاتلَ الخوارجَ أو قتلَهم أو أتلفَ مالَهم[٢].

---

[١] أخرجه البخاري (٤٣٥١).

[٢] انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٢٢).

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«ولا نَشهَدُ على أحَدٍ من أهلِ القِبلةِ لِعَملٍ يَعمَلُه بجنَّةٍ ولا نارٍ، نرجو للصَّالِحِ، ونخافُ عليه، ونخافُ على المُسيءِ المُذنِبِ، ونَرْجُو له رحمةَ اللهِ»:

الشرح:

لا يجوزُ الحكمُ على أحدٍ من المسلمين بأنه في الجنةِ مهما كان صلاحُه، بل نُحسِنُ الظنَّ بالله أنه سيرحَمُه، ونرجو له رضا الله عنه، ولا نجزِمُ له بشيءٍ، فنقولُ: نحسَبُه على خيرٍ، واللهُ حسيبُه، ولا نُزكِّي على الله أحدًا؛ للحديثِ الواردِ في ذلك، فهذا إحسانُ ظنٍّ ورجاءٌ في اللهِ بالخير، وذلك لأن الخواتيمَ لا يعلَمُها إلا اللهُ، ولأنَّ القلوبَ وصدقَ النوايا لم يطَّلِعَ عليها إلا اللهُ.

وكذلك لا يجوزُ الحُكمُ على أحدٍ من المسلمين بأنه من أهل النارِ مهما كان فِسْقُه وانحرافُه؛ بل نرجو له العفوَ والعافية، وندعو اللهَ أن يتجاوزَ عنه؛ لأنه لا يعلمُ الخواتيمَ إلا اللهُ، ولعلَّ اللهَ يختِمُ له بمرضٍ أو بلاءٍ يكفِّرُ عنه سيئاتِه، أو يرزقُه توبةً قبلَ موته تكون سببًا في عفو الله عنه.

ولعله يكونُ له عملٌ مقبولٌ عند الله، كهذه البغيِّ التي سقت

كلبًا فشكرَ الله لها، فغفرَ لها، وعفا عنها[١].

وهذا الرجلُ الذي تجاوزَ اللهُ عنه؛ لأنه كان يتجاوزُ عن المُعْسِر، ويقولُ: لعلَّ اللهَ يتجاوزُ عنَّا[٢].

وهذا الرجلُ الذي أوصى أولادَه بإحراقِه بعد موته، فأمر اللهُ الأرضَ والبحرَ فجَمَعا ما فيهِما، وبعثَه اللهُ، وقال: ما حملَكَ على ما صنعتَ؟ قال: خشيتُك يا ربِّ! فغفرَ اللهُ له[٣].

أو لعلَّ اللهَ يرزقُه بشفاعةِ الشافعين، أو يعفو هو سبحانه بعفوه ونحو ذلك.

أما الذين شَهِد لهم القرآنُ والسُّنةُ صراحةً بأنهم من أهل الجنةِ

---

[١] أخرجه مسلم (٢٢٤٥). وفيه عن النبيِّ ﷺ: «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا، فَغُفِرَ لَهَا».

[٢] أخرجه البخاري (٢٠٧٧)، ومسلم (١٥٦١). وفيه قوله ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ»، قَالَ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ».

[٣] أخرجه مسلم (٢٧٥٦). وفيه قوله ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ، لِأَهْلِهِ: إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ، ثُمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ، فَأَمَرَ اللهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، يَا رَبِّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ».

من الصحابة فهؤلاءِ نشهَدُ أنهم من أهل الجنةِ قطعًا، كالصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار.

فالعبدُ قد يكونُ ظاهرُ عملِه الصلاحَ؛ لكن نيتَه فاسدةٌ كحديث المرائين[١]، وقد يكون ظاهرُ عمله الفسادَ؛ ولكنَّ اللهَ يتغمَّدُه برحمتِه بتوبةٍ كقاتل المِئةِ نفسٍ[٢].

---

[١] أخرجه مسلم (١٩٠٥). وفيه قوله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

[٢] أخرجه مسلم (٢٧٦٦). وفيه قوله ﷺ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«ومَن لقِيَ اللهَ بذنبٍ يوجِبُ له النارَ تائبًا منه غَيْرَ مُصِرٍّ عليه، فإنَّ اللهَ يتوبُ عليه، ويَقبَلُ التوبةَ عن عِبادِه ويَعْفُو عن السَّيِّئاتِ، ومَن لَقِيَه وقد أُقِيم عليه حدُّ ذلك الذَّنبِ في الدنيا فهو كفَّارتُه، كما جاءَ في الخبرِ عن رسولِ اللهِ ﷺ.

ومَن لقِيَه مُصِرًّا غيرَ تائبٍ مِن الذُّنُوبِ التي قد استَوْجَبَ بها العقوبةَ، فأمرُه إلى اللهِ، إنْ شاءَ عذَّبَه، وإنْ شاءَ غفَرَ له.

ومَن لقِيَه وهو كافرٌ أو مشركٌ عذَّبَه ولم يَغفِرْ له»:

الشرح:

التوبة تَجُبُّ ما قبلَها؛ لقول اللهِ تعالى: {وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾} [النور: ٣١]؛ أي: إن تُبتم فحتمًا ستفلحون، وقال أيضًا: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً

يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ».

نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴿٨﴾} [التحريم:٨]؛ أي: إنْ تبتم حتمًا سيُكفِّر عنكم سيئاتِكم.

وقال تعالى: {وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾} [طه:٨٢]، وقال: {إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾} [الفرقان:٧٠].

فاللهُ سبحانه وتعالى يغفرُ للتائب، ويبدِّلُ سيئاتِه حسناتِ.

وقال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوبَةَ العَبْدِ مَا لَم يُغَرغِرْ**»[١].

وقال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ؛ لِيَتُوبُ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ؛ لِيَتُوبُ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا**»[٢].

ومَن ارتكَبَ حَدًّا، ثم أُقِيم عليه ذلك الحدُّ فهو كَفَّارةٌ له، ومَن لم يُقَمْ عليه الحدُّ فهو في مشيئةِ الله، إن شاء غفرَ له، وإن شاء عاقبه.

---

[١] أخرجه أحمد (٦١٦٠)، والترمذي (٣٥٣٧).

[٢] أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

فعن عُبادةَ بنِ الصامتِ رضي الله عنه قال: كنا عند النبيِّ ﷺ في مجلس، فقال: «**بَايِعُونِي عَلَى أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ**»[(١)].

والحَدُّ هو عقوبة مقدَّرة شرعًا واجبةٌ حقًّا لله تعالى في معصية يمنعُ من الوقوع في مثلها.

والجرائمُ الحَدِّية هي: الزِّنا، السَّرقة، وشُرْبُ المُسكِر، والقَذْفُ، والحِرابةُ، والرِّدَّةُ، وسَبُّ النبي ﷺ.

ومَن مات من المسلمين على معصيةٍ ولم يتُبْ منها ولم يُقَم عليه الحدُّ، فأمْرُه إلى الله إن شاء عفا عنه برحمتِه، وإن شاءَ عذَّبه، وإن عذَّبه فلَن يُخلِّدَه في النار، كالكفارِ والمشركين؛ بل يخرجُ منها بعد ذلك، كما ثبت في الأحاديثِ الصحيحةِ عنِ النبيِّ ﷺ؛ فقد قال: «**وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا**

[(١)] أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).

عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ».

وفي ذلك ردٌّ على الخوارجِ والمعتزلةِ الذين يحكُمون على مرتكِبِ الكبيرةِ بالخلود في النار خلودًا أبديًّا كخلودِ الكفار.

وفيه ردٌّ على المرجِئَة الذين قالوا: لا يضُرُّ مع الإيمانِ ذنبٌ لمن عمِله، قال الله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ٤٨} [النساء:٤٨].

ومن مات كافرًا أو مُشرِكًا فهو مخلَّدٌ في النارِ أبدَ الآبدين.

قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦} [البينة:٦].

وقال تعالى: {إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢} [المائدة:٧٢].

وقال تعالى: {وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥} [الزمر:٦٥].

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«والرَّجمُ حَقٌّ على مَن زَنَى وقد أُحصِنَ إذا اعتَرَفَ أو قامَتْ عليه بيِّنةٌ، وقد رَجَم رسولُ الله ﷺ، وقد رَجَمَتِ الأئمَّةُ الراشدون»:

الشرح:

حدُّ الزنا ثابتٌ بالكتاب والسُّنة، فإذا كان الزاني أعزبَ فيُجلَدُ مِئةَ جلدةٍ، ويُغرَّبُ عامًا؛ لقولِ الله تعالى: {ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ} [النور:٢]، ولقول النبي ﷺ: «**البِكْرُ بِالبِكْرِ جَلْدُ مِئةٍ ونفيُ سَنَةٍ**»[١]، ولقوله ﷺ لوالد العَسِيفِ الزاني: «**عَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِئةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ**»[٢].

وإذا كان الزاني مُحصَنًا قد سبق له الزواجُ فحكمُه القتلُ رجمًا بالحجارة؛ لقول النبي ﷺ: «**خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِئَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِئَةٍ، وَالرَّجْمُ**»[٣].

ولوليِّ الأمر أن يَرجُمَه مباشرةً بغيرِ جلدٍ، وله أن يَجلِدَه أولًا ثم يَرجُمَه.

---

[١] أخرجه مسلم (١٦٩٠).

[٢] أخرجه مسلم (١٦٩٧).

[٣] أخرجه مسلم (١٦٩٠).

وقد كان حدُّ الرجم مذكورًا في القرآن في قوله تعالى: «والشَّيخُ والشَّيْخةُ إذَا زَنَيَا فارْجُمُوهُمَا البَتَّةَ»، ثم نُسِخت تلاوةُ هذه الآيةِ، وبقِيَ حكمُها، كما ورد بالسُّنة القولية والفعلية لرسول الله ﷺ، وقد رَجَم ماعزًا، والغامديةَ، والمرأةَ التي في حديث العَسيفِ، ورَجَم اليهوديَّ واليهوديةَ، وقد رجَمَ الخلفاءُ والمسلمون من بعدِه ﷺ إلى يومِنا هذا.

ولا يُنكِرُ الرجمَ إلا أهلُ البدع والزندقة ممن يُنكِرون السُّنة، ولذلك قال عمرُ بنُ الخطاب ﷺ بعد أن قام فحمِدَ اللهَ وأثنى عليه: أما بعدُ؛ فإني قائلٌ لكم مقالةً قُدِّرَ لي أن أقولَها، لا أدرى لعلها بين يدي أجلي، فمَن عَقَلَها ووعاها فلْيُحدِّثْ بها حيث انتهت به راحلتُه، ومَن خَشِيَ ألَّا يَعقِلَها فلا أُحِلُّ لأحدٍ أن يكذبَ عليَّ، إن اللهَ بعث محمدًا بالحق، وأنزل عليه الكتابَ، فكان مما أَنزَلَ آيةُ الرَّجمِ، فقرأناها وعقَلْناها، ووعَيْناها، ورَجَم رسولُ اللهِ ﷺ ورجَمْنا بعدَه، فأخشى إن طال بالناس زمانٌ أن يقولَ قائلٌ: واللهِ ما نجدُ آيةَ الرجمِ في كتابِ اللهِ، فيَضِلوا بتركِ فريضةٍ أنزلها اللهُ، والرَّجمُ في كتاب الله حقٌّ على مَن زنى إذا أُحصِنَ من الرجال والنساء، إذا

قامت البينةُ أو كان الحَبَلُ أو الاعتراف[١].

وجريمة الزِّنا لا تثبتُ إلا بواحدٍ من ثلاثة:

١ـ **الإقرار**، بأن يعترفَ الزاني على نفسِه كما حصل من ماعز والغامدية

٢ـ **الحَبَل**: كالبِكر أو الثيِّب التي لا زوجَ لها، وظهر عليها الحملُ.

٣ـ **البَيِّنة**: بشهادة أربع رجالٍ ذكورٍ عدول.

---

[١] انظر: المعجم الكبير للطبراني (١٣/ ١٥٥)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧/ ١٣٦٠).

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«ومَن انتَقَصَ أحَدًا مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ أو أبغَضَه بِحَدَثٍ كانَ منه، أو ذَكَرَ مساوئَه: كانَ مُبتدِعًا حتى يَتَرحَّمَ عَلَيهِمْ جميعًا، ويكونَ قلبُهُ لهم سَلِيمًا»:

الشرح:

الصحابةُ كلُّهم عُدُولٌ بتعديلِ اللهِ لهم، وهم خيرُ هذه الأمَّة بعد النبي ﷺ وهم الأُمَناءُ على القرآن والسُّنة، الذين هداهم الله، واختارهم واصطفاهم؛ لحمل الوحي، والجهاد في سبيله، ونشر الإسلام في رُبُوع الدنيا، هم ومَن سار على نهجِهِم بإحسانٍ، وقد زكَّاهم اللهُ في الكتاب والسُّنة.

فمَن طعن فيهم أو انتَقَصَهم فقد كذَّب اللهَ ورسولَه ﷺ، وهو إما كافرٌ زنديقٌ ليس من أهل الإسلام، وإما جاهلٌ مبتدعٌ ضالٌّ على غيرِ السبيل.

وقد نهى النبي ﷺ عن سَبِّهم أو الانتقاصِ منهم والطعن فيهم، فقال النبي ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[1].

---

[1] سبق تخريجه.

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في «العقيدة الواسطية»:

ومِن أصول أهلِ السُّنةِ والجماعةِ سلامةُ قلوبِهم وألسنتِهم لأصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، كما وصَفَهم اللهُ به: {وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠} [الحشر: ١٠] [1].

الصحابة بشرٌ، وليسوا أنبياءَ ولا معصومين، وسيئاتُهم لا تساوي في بحر حسناتِهم شيئًا.

والإمام أحمدُ يرُدُّ بذلك على الخوارجِ الذين كفَّروا بعضَ الصحابة، واستحلُّوا دماءَهم، وعلى الروافض الذين كفَّروا الصحابةَ لهدمِ الإسلام، والنواصبِ الذين نصبوا العداءَ لأهل البيت، والزنادقةِ المنافقين الذين يُظهِرون الإسلامَ ويُبطِنون الكفرَ.

قال الإمام الطحاويُّ رحمه الله تعالى: ونحِبُّ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ، ولا نُفرِطُ في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونُبغِضُ مَن يُبغِضُهم، ولا نذكُرُهم إلا بخير، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ،

---

[1] انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص٢٣٦).

وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان[١].

سُئِل الإمامُ أحمدُ عمَّن يسُبُّ أبا بكرٍ وعمرَ وعائشة؟ فقال: ما أراه على الإسلام. وقال: مَن شتم الصحابةَ أخافُ عليه الكفرَ، مثل الروافض.

سُئِل الإمامُ أحمدُ عما جرى بين الصحابةِ من الفِتَن كصِفِّينَ والجملِ؟ فقال: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾} [البقرة:١٣٤]؛ هؤلاء قومٌ نجَّانا الله من دمائهم، فلا نخوضُ فيهم بألسنتِنا.

قال الإمام مالك: الذي يشتُمُ أصحابَ رسولِ الله ﷺ ليس له نصيبٌ في الإسلام[٢].

---

[١] انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٧٥).

[٢] السنة للخلال (٣/٤٩٣).

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«والنِّفاقُ هو الكفرُ: أن يَكفُرَ باللهِ تعالى ويعبُدَ غيرَه ويُظهِرَ الإسلامَ في العلانية، مثلُ المنافقين الذين كانوا على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ. وقوله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيه فَهُوَ مُنَافِقٌ»: هذا على التغليظِ، نَرْوِيها كما جاءَتْ ولا نُفسِّرُها»:

الشرح:

النِّفاق: هو إظهارُ الإسلامِ وإبطانُ الكفر والشرك، فهو يدخلُ الإسلامَ من بابٍ ويخرجُ من بابٍ آخرَ، قال تعالى: {إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾} [التوبة:٦٧]؛ أي: الخارجون عن الإسلام، وهم أشرُّ من الكفار الأصليين، قال تعالى: {إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾} [النساء:١٤٥].

ولذا حذَّرَ اللهُ تعالى منهم أشدَّ التحذير، وذكر أوصافَهم في القرآن الكريم، وأنزل سورةً باسمهم (سورة المنافقون)، وسورةَ التوبة الفاضحة التي فضَحَت النِّفاقَ وأهلَه، وذكرهم كذلك في سورةِ النساء والبقرة ومحمد والأحزاب؛ لأنهم أخطرُ على الإسلام من الكفار الظاهرين.

والنفاق نوعان: الأول: النفاق الاعتقادي: وهو الكفرُ الذي سبق ذكرُه، والذي قال عنه الإمامُ أحمد: النفاقُ هو الكفر.

الثاني: هو النفاقُ العملي: وهو النفاقُ الأصغرُ الذي لا يَخرُج صاحبُه من الإسلام، وهو ارتكابُ المسلمِ المؤمنِ بعضَ أفعالِ المنافقين مع بقاء الإيمان في قلبه، كقول النبي ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[١]، وقوله وقوله ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»[٢].

فمَن فعل واحدةً منها أو أكثرَ مع اعتقاده بحرمتها واستقرار الإيمان في قلبه فهو مسلِمٌ عاصٍ مُتشَبِّهٌ بالمنافقين في بعض صفاتهم، وهو على خطرٍ عظيمٍ.

لكن مَن اجتمعت فيه هذه الخصالُ الأربعةُ الواردةُ في الحديثِ فهو منافقٌ خالصٌ.

وقولُ الإمامِ أحمدَ رحِمه اللهُ بعد ذكره الحديثَ: «**هذا على التغليظِ، نَرْوِيها كما جاءَتْ ولا نُفسِّرُها**»؛ أي: نتركُ هذه الأحاديثَ على ظاهرِها؛ حتى تفيدَ الزجرَ والوعيدَ، ولا نقولُ للعامة: إنها نفاقٌ أصغرُ، لا يُخرِج من المِلَّة؛ حتى لا يستهينوا بها.

---

[١] أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

[٢] أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«وقوله ﷺ: «لا تَرْجِعُوا بعدي كُفَّارًا ضُلَّالًا يَضرِبُ بعضُكُم رِقابَ بعضٍ». ومِثلُ: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالمقْتُولُ فِي النَّارِ»[١]. ومِثلُ: «سِبَابُ المسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[٢]. ومِثلُ: «مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»[٣]. ومثل: «كفَرَ بِاللَّهِ تَعَالَى مَنِ ادَّعَى إِلَى نَسَبٍ غَيْرِ نَسَبِهِ، وَتَبَرَّأَ مِنْ نَسَبٍ وَإِنْ دَقَّ»[٤]. ونحوُ هذِهِ الأحاديثِ ممَّا قد صحَّ وحُفِظَ، فإنَّا نُسَلِّمُ له، وإن لم نعلَمْ تفسيرَها، ولا نَتكلَّمُ فيها، ولا نُجادِلُ فيها، ولا نُفسِّرُ هذه الأحاديثَ إلا مِثلَ ما جاءَتْ، ولا نَرُدُّها إلا بأحقَّ منها»:

الشرح:

الكفرُ كفران: أكبر، وأصغر.

الكفرُ الأكبرُ هو الجحودُ والإنكارُ والاستكبارُ والنفاق، وهو مخرجٌ عن مِلَّةِ الإسلام، ويُخلِّدُ صاحبَه في نارِ جهنَّمَ، وهو أعظمُ الذنوبِ بإطلاق.

---

[١] أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

[٢] أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

[٣] أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).

[٤] مصنف عبدالرزاق (١٦٣١٥)، وابن أبي شيبة (٢٦١٠٩).

وأما الكفرُ الأصغرُ فهو ارتكابُ ذنوبٍ سمَّاها الشرعُ كفرًا، وهي أعظمُ وأشدُّ من الذنوبِ التي لم يُطلَق عليها لفظُ الكفرِ، كالزنا والسرقة والربا... إلخ، وهذا الكفرُ الأصغرُ لا يُخرِجُ صاحبَه من المِلَّة، ولا يُخلِّدُه في النار؛ ولكِنَّه أكبرُ الكبائرِ بعد الكفرِ والشركِ بالله، ومِن هذا الكفرِ الأصغرِ ما ورد في الأحاديث التي ساقها الإمامُ أحمدُ، وهي على سبيل المثال لا الحصر.

ويجبُ على المسلمِ التوبةُ منه، ولا يستهينُ به؛ لكونه أصغرَ، فالشرعُ لم يُطلِق عليه اسمَ الكفرِ إلا لما لهذه الذنوبِ من الآثار الخطيرةِ على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة.

وهذه نذكرُها لعامَّةِ الناسِ على عمومها؛ لزيادةِ الترهيب منها، ومِن عذابِ الله؛ ولكننا نفصِّلُ فيها في الردِّ على الخوارجِ الذين أوَّلوها على الكفرِ الأكبرِ المُخرِجِ من المِلَّة، فكفَّروا بها المسلمين، وخلَّدوهم في النار.

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«والجنَّةُ والنارُ مَخْلُوقتانِ قد خُلِقَتَا كمَا جاء عن رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ حيثُ قال: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا دَارًا أَوْ قَصْرًا»[١]، «رَأَيْتُ الْكَوْثَرَ نَهْرًا فِي الْجَنَّةِ»[٢]، «اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»[٣].

فمَن زعَمَ أنَّهُما لم تُخلَقَا فهو مُكذِّبٌ للقُرآنِ وأحاديثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ولا أحسَبُه يؤمنُ بالجنَّةِ والنار»:

الشرح:

الإيمانُ بالجنَّة والنار يقتضي ما يلي:

- أنَّهما حقٌّ لا ريبَ فيهما، قال الله تعالى: {وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣} [آل عمران:١٣٣]، وقال أيضًا: {فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤} [البقرة:٢٤].

وقال النبيُّ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،

---

[١] أخرجه مسلم (٢٣٩٤).

[٢] أخرجه أبو يعلي في المسند (٣١٨٦).

[٣] أخرجه البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٧).

وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»[١].

- أَنَّهُما مخلوقتانِ موجودتان الآنَ، قال تعالى عن الجنَّة: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}، وقال عن النار: {أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ}؛ أي: أنها مُعَدَّة جاهزةٌ لأهلها.

وقال النبي ﷺ: «اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ».

وقال ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدتُّ لِأَهْلِهَا فِيهَا»[٢].

وقال: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ»[٣].

- أنهما لا تَفْنَيَانِ أبدًا، ولا تَبِيدانِ؛ لقولِ اللهِ تعالى عن الجنَّة: {خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾} [التوبة: ١٠٠]، ولقوله عن النار: {جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾}

---

[١] أخرجه البخاري (٣٤٣٥).

[٢] أخرجه أحمد (٨٣٩٨)، والترمذي (٢٥٦٠).

[٣] أخرجه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧).

[النساء:١٦٩].

وقال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦} [البينة:٦].

وفي الحديث: «**يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ**»[(١)].

لم يُنكِرْ ذلك إلا أهلُ البدعِ والضلال.

فالمعتزلةُ بعقولِهم الفاسدةِ قالوا: إن الجنةَ والنارَ ليستا موجودتين الآنَ، ولو وُجِدَتا الآن لكان عبثًا؛ لكونِهما فارغتين.

والجهميةُ قالوا بفناءِ الجنةِ والنار؛ لأنهما حادثتان، وما ثبت حدوثُه يستَحيلُ بقاؤُه.

وقال أبو الهُذَيلِ العَلَّافُ- وهو مِن المعتزلة- بأن حركاتِ أهلِ الجنةِ والنارِ تَفنى، ويصيرون جمادًا لا يُحِسُّون بنعيمٍ ولا عذابٍ.

وابن عربيٍّ الحاتميُّ الزِّنْدِيقُ يقول بأن عذابَ النار من العذوبة، فيتلذَّذُ أهلُ النار بوجودِهِم فيها، فهي عليهم نعيمٌ ولذَّةٌ[(٢)].

وكلُّ هذه الأقوالِ تُكذِّبُ القرآنَ والسُّنة؛ بل هي مَحضُ افتراءاتٍ؛ ولذلك قال الإمامُ أحمد: «**فمَن زعَمَ أنَّهُما لم تُخلَقَا فهو**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (ص٤٢٠).

مُكذِّبٌ للقُرآنِ وأحاديثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ولا أحسَبُه يؤمنُ بالجنَّةِ والنار».

قال الإمامُ أحمد رحمه الله:

«ومَن ماتَ مِن أهلِ القِبلةِ مُوحِّدًا يُصلَّى عليه، ويُستغفَرُ له، ولا يُحجَبُ عنه الاستغفارُ، ولا نَتْرُكُ الصَّلاةَ عَلَيهِ؛ لذَنْبٍ أذنَبَه، صَغيرًا كانَ أو كبيرًا؛ وأمْرُهُ إلى اللهِ تعالى»:

الشرح:

صلاةُ الجنازةِ على مَن ماتَ مِن المسلمين فرضٌ على الكفاية، إذا قام به البعضُ سقَطَ عن الآخرين، وإن ترَكَه الكلُّ أَثِمَ الجميعُ.

وتُصلَّى الجنازةُ على كلِّ مسلمٍ، صالحًا كان أم طالحًا، فقد صلى النبيُّ ﷺ الجنازةَ على مَن ماتَ مِن المسلمين، وأمَرَ الصحابةَ بالصَّلاةِ على الطائعِ والعاصي، كالغالِّ، والمُنتَحِرِ الذي قطَعَ يدَه وقتَلَ نَفْسَه، والذي قتَلَ نفسَه بمَشاقص، والمحدودِ في حدٍّ مِن حدودِ الله، وقال ﷺ: «**صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ**»، وصلى على ماعزٍ والغامدية، وقال ﷺ: «**لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ وُزِّعَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ**»[1].

وصلاةُ الجنازة شفاعةٌ أَذِنَ اللهُ بها لكلِّ مسلمٍ حيٍّ على أمواتِ المسلمين، فما شُرِعت إلَّا للدعاءِ والاستغفار للميت، فقد كان النبيُّ

---

[1] أخرجه مسلم (١٦٩٦).

ﷺ يدعو للميت، ويقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا»[(١)]، وكان يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ»[(٢)].

وكان إذا فرَغَ مِن دَفْنِه يقولُ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا اللَّهَ لَهُ التَّثْبِيتَ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»[(٣)].

وصلاةُ الجنازةِ على المجاهرين بالمعاصي أو البدعِ غيرِ المكفِّرةِ سُنَّةٌ، ندعو لهم ونرجو من اللهِ أن يتجاوزَ عنهم، ويعفوَ عنهم، ويغفرَ لهم، ويرحمَهم.

وينبغي على أهلِ الفضلِ كالعلماءِ والصالحين أن يتركوا الجنازةَ على المجاهرين بالمعاصي والداعين للبدع؛ ليعتبرَ بهم غيرُهم، كما ترَكَ النبيُّ ﷺ الجنازةَ على المُنتَحِرِ، والغالِّ، وصاحبِ الدَّيْن؛ لتَعْظُمَ هذه الأمورُ في نُفُوسِ المسلمين، ولتأكيد حُرمتِها، وتأكيدِ خطورةِ الدَّيْن على المُسلِمِ؛ لأنه لو ماتَ مَدينًا يُحبَسُ عن دخولِ الجنةِ حتى يُقضَى عنه دَيْنُه، كما صحَّ عنِ النبيِّ ﷺ.

---

(١) أخرجه أحمد (٨٨٠٩)، والترمذي (١٠٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٣).

(٣) سبق تخريجه.

بهذا الشرحِ والبيانِ المختصرِ نكونُ قد فرَغْنا بحولِ اللهِ وقوَّتِه وفضلِه وعَونِه مِن شرحِ متنِ «**أصولِ السُّنةِ**» للإمامِ أحمدِ بنِ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيِّ رحمه الله.

نسألُ اللهَ تعالى أن يُوزِعَنا شُكرَ نِعْمتِه، وحُسنَ عبادتِه، وأن يزيدَنا مِن فضلِه، وأن يتجاوزَ عنا، ويغفرَ لنا ويرحمَنا، وأن يَرزُقَنا الإخلاصَ في الأقوالِ والأعمالِ والحركاتِ والسَّكَناتِ، إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

وصلِّ اللهُمَّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه وسلِّم!

آمِينَ آمِينَ!

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	٣
التعريف بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله	٥
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: أَصُولُ أهلِ السُّنَّةِ عِندَنَا	٧
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: التَّمَسُّكُ بما كانَ عليه أصحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ	٨
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: وتركُ البِدَعِ، وكُلِّ بِدْعةٍ فهي ضَلالةٌ	١٠
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: وتَرْكُ الخُصُوماتِ والجُلُوسِ مَعَ أصحابِ الأهواءِ	١٣
وجوبُ هجر أهل البدع	١٦
النَّهيُ عنِ الجِدالِ والمِراءِ الذي لا يأتي منه فائدةٌ	١٧
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: والسُّنَّةُ عندنا آثارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، والسُّنَّةُ تَفْسيرُ القرآنِ	١٩
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: وليسَ في السُّنةِ قياسٌ، ولا تُضرَبُ لها الأمثالُ	٢٣
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: ولا تُدرَكُ السُّنَّةُ بالعُقُولِ ولا بالأهواءِ	٢٥
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: الإيمانُ بالقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه،	٢٦

والتصديقُ بالأحاديثِ
مراتب القدر ٢٨
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: ومَن لم يَعرِفْ تَفْسِيرَ الحَديثِ، ولم يَبلُغْه عَقْلُه، فقَدْ كُفِي ٣٤
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: ومثلُ أحاديثِ الرُّؤيةِ كلِّها، وإنْ نَبَتْ عَنِ الأسماعِ... ٣٥
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: ولا يخاصِمُ أحدًا، ولا يُناظِرُه، ولا يَتعلَّمُ الجِدالَ ٣٨
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: والقرآنُ كلامُ الله، وليسَ بمَخْلُوقٍ ٣٩
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: والإيمانُ بالرُّؤيةِ يومَ القِيَامةِ ٤٥
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: والإيمانُ بالمِيزانِ يومَ القيامةِ ٤٨
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: وأنَّ اللهَ تعالى يُكلِّمُ العِبادَ يَومَ القيامةِ ٥١
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: والإيمانُ بالحَوْضِ ٥٣
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: والإيمانُ بعذابِ القَبْرِ ٥٥
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: والإيمانُ بشَفَاعةِ النبيِّ ﷺ ٥٩
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: والإيمانُ أنَّ المسيحَ الدَّجَّال خارجٌ، مَكْتوبٌ بَيْنَ عَينَيْه: كافرٌ ٦٣
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: الإيمانُ قولٌ وعَمَلٌ، يزيدُ وينقُص ٦٧

قال الإمامُ أحمد رحمه الله: ومَن ترَكَ الصَّلاةَ فقد كفَرَ ٦٩
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: وخَيرُ هذه الأمَّةِ بعدَ نبيِّها: أبو بكرٍ، ثم عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، ثم عثمانُ بنُ عَفَّانَ ٧١
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: والسَّمعُ والطاعةُ للأئمَّةِ وأميرِ المُؤمِنِينَ، البَرِّ والفاجِرِ ٧٥
ما لا يتمُّ الواجبُ إلا به فهو واجبٌ ٨٠
المُلْكُ والإمارةُ والرئاسةُ يجعَلُها اللهُ فيمَن يشاءُ مِن خَلْقِه ٨١
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: والغزوُ ماضٍ مع الأمراءِ إلى يومِ القيامةِ، البَرِّ والفاجِرِ ٨٨
وقد مرَّ الجهادُ في الإسلامِ بأربعِ مراحلَ ٩٠
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: قِسمةُ الفَيْءِ، وإقامةُ الحُدُودِ مع الأئمَّةِ ماضٍ ٩١
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: ودفعُ الصَّدَقاتِ إليهم جائزةٌ نافذةٌ ٩٣
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: وَصَلَاةُ الجُمُعَةِ خَلْفَه وَخلْفَ مَن وَلَّاهُ جَائِزَةٌ بَاقِيَةٌ تَامَّةٌ ٩٤
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: وَمَن خرَجَ على إِمَامٍ مِن أَئِمَّةِ المُسلِمِينَ وَقَدْ كَانُوا اجْتَمعُوا... ٩٧
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: وقِتالُ اللُّصُوصِ والخَوَارِجِ جائزٌ إذَا عَرَضُوا للرَّجُلِ ١٠٠
قال الإمامُ أحمد رحمه الله: ولا نَشهَدُ على أحَدٍ من أهلِ القِبلةِ لِعَملٍ يَعمَلُه بجنَّةٍ ولا نارٍ ١٠٤

قال الإمامُ أحمد رحمه الله: ومَن لقِيَ اللهَ بذنبٍ يوجِبُ له النارَ تائبًا منه غَيْرَ مُصِـرٍّ عليه، فإنَّ اللهَ يتوبُ عليه ١٠٧

قال الإمامُ أحمد رحمه الله: والرَّجمُ حَقٌّ على مَن زَنَى وقد أُحصِنَ ١١١

قال الإمامُ أحمد رحمه الله: ومَن انتَقَصَ أحَدًا مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ أو أبغَضَه بِحَدَثٍ كانَ منه، أو ذَكَرَ مساوئَه: كانَ مُبتدِعًا ١١٤

قال الإمامُ أحمد رحمه الله: والنِّفاقُ هو الكفرُ ١١٧

قال الإمامُ أحمد رحمه الله: والجنَّةُ والنارُ مَخْلُوقتانِ ١٢١

قال الإمامُ أحمد رحمه الله: ومَن ماتَ مِن أهلِ القِبلةِ مُوحِّدًا يُصلَّى عليه، ويُستغفَرُ له ١٢٤